الاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية بين الثابت والمتغير

زروقة إسماعيل
كلية الحقوق و العلوم السياسية
جامعة المسيلة – الجزائر

ملخص

تتضمن الاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية مجموعة متعددة من المنطلقات التي تميزها عن غيرها من السياسات الأمنية الأخرى ، التي تؤثر بشكل مباشر وحتمي في عملية تطبيقها وممارستها ، أي تعبر عن تصور شامل للقواعد الضرورية الواجب الرجوع إليها ، واعتمادها في تحديد المسار الرئيسي الواجب إتباعه ، فمنذ أول حرب إسرائيلية عام 1948 إلى غاية يومنا هذا ، فإن الاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية تعيد النظر في إدراكها وقراءاتها للمخاطر والتهديدات ، فبعد أن كانت قد تعودت على نمط معين من الحروب مع دول محددة ، أصبحت تتأرجح بين تهديدات لا تماثلية ، وتهديدات جديدة أكثر حدة .

Summary

The Israeli Security strategy contains groups of the hypotheses that distinguish it from other security policies , That directly affect the process of application , That reflect the necessary rules , The adoption in the identification of the main route to be followed, since the first Israeli War in 1948 until this day , The strategy of the Israeli security reconsider aware of the risks and threats , After that had been used to a certain pattern of wars with specific states, has become between the threats which asymmetric and new threats more acute .

مقدمة

إن المعضلة الأمنية الإسرائيلية لم ترتبط مع قيام دولة إسرائيل عام 1948 ، فعدم توافر الأمن والإحساس بالأمان هو وليد ظروف تاريخية تعود جذورها إلى ألاف السنين منذ دخولهم فلسطين بقيادة يوشع بن نون وبداية الخلافات الحادة بينهم وبين القبائل التي كانت تعيش في المنطقة، وسقوط دولة يهوذا أمام البابليين سنة 587ق.م، وتشتيتهم إلى جماعات ترامت في أنحاء العالم في مجتمعات أجنبية عليهم، وهو ما انعكس على العقلية الإسرائيلية باحتلال الجانب الأمني مكانة الصدارة في الفكر الإسرائيلي

إن أحد أهم أهداف السياسة الإسرائيلية ، يتمثل في تأمين تفوقها النوعي وتنمية عناصر قدرتها العسكرية ، بمختلف أصنافها القتالية على المستويين التقليدي والنووي ، مما يجعلها متفوقة دائما ، فاستخدام القوة العسكرية يعتبر بالنسبة لمعظم الحكومات الإسرائيلية استمرار للسياسة بوسائل أخرى ، وهو ما يؤكده رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق " بنيامين ناتنياهو " ، بقوله : " إن القوة العسكرية هي مؤسسة لا بديل عنها للمحافظة على أمن إسرائيل على الأقل في المستقبل المنظور " ، إن جدلية الحرب في السياسة الإسرائيلية تعبر عن الضرورة الإستراتيجية التي تمليها السياسة العليا ، والتي تطمح إلى خلق بيئة إقليمية من الدول العربية و الإسلامية ، التي تتعايش مع إسرائيل بعيدا عن التفكير في مواجهتها عسكريا ، و لهذا نطرح الإشكالية التالية : **الى أي مدى استطاعت الاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية فرض نجاعتها في الحفاظ على بقاء الدولة في ظل التهديدات المتجددة التي تواجهها ؟.**

1- طبيعة دولة إسرائيل ومفهوم السياسة الأمنية الإسرائيلية

إن أدق وصف يطلق على إسرائيل ويلخص كيانها هو أنها مؤسسة عسكرية، حيث يقول "شيث خطاب" موضحا مدى اهتمام إسرائيل بالجانب الأمني: "إن إسرائيل معسكر كبير يضم كل الطاقات المادية والمعنوية الإسرائيلية، يبدأ فيه التدريب المنظم لكل إسرائيلي حين يصبح عمره اثنتي عشرة سنة...،إن الخدمة العسكرية في إسرائيل من المهد إلى اللحد"، كما يضيف " إسحاق رابين " قائلا:"إنه من دون النجاح في المجال العسكري فإنه لا معنى للكسب السياسي" ،وهو ما جعل وزير الدفاع الإسرائيلي السابق" moshie dayan " في خطاب ألقاه سنة1969 يعبر بصراحة عن قضية الأمن بقوله:"منذ أربعة آلاف سنة والشفاه جميعا تردد السؤال التالي: ما الذي سيحدث؟"، وهي إشارة واضحة إلى المعتقد اليهودي حول سؤال سيدنا إبراهيم لله عن المستقبل وإجابة الله بطمأنة إبراهيم حول مصيرهم ومستقبلهم.

1-1 الكيفية التي أقيمت بها دولة إسرائيل

إن فكرة إقامة دولة إسرائيل ليست وليدة سنة 1947 أو 1917 أو 1897 بل هي تعود إلى جذور التاريخ القديمة، حيث كانت فكرة إعادة بعث الدولة اليهودية، وتحقيق (الوعد الإلهي) حلم كل يهودي استنادا إلى ما ورد في

التوراة والتلمود، مدعمة بأفكار الحركة الصهيونية التي بدأت مع كتابات "moses hess" وتحديدا كتابة "روما والقدس" عام 1862 الذي دعا فيه إلى بعث القومية اليهودية في القدس بعد تحريرها.

فإثر إعلان دولة إسرائيل في 14 ماي 1948 صرح "Ben Gurion":" بالدم والنار سقطت اليهودية وبالدم والنار تعود ثانية"(1)، وهو ما يفسر ذلك الربط الوثيق بين حروب إسرائيل وبين العمل المقدس، لأن قائد هذه الحروب هو يهوه إله إسرائيل.

وفي هذا المعنى يقول"موشي جورين" حاخام جيش الدفاع الإسرائيلي إبان الجولة الثالثة في جوان 1967:"إن حروب إسرائيل الثلاث مع العرب سنوات 1948، 1967،1956 إنما هي حروب مقدسة دارت أولها لتحرير إسرائيل، وقامت الثانية لتثبيت أركان دولة إسرائيل أما الثالثة فقد كانت لتحقيق كلمات أنبياء إسرائيل ، ومن أجل تحرير وتثبيت وتحقيق أمن إسرائيل نؤمن بالقتال."(2)

إن الهدف من هذه الحروب هو تجسيد لجغرافيا إسرائيل الكبرى (فالتوراة) تنص على أن :"في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات" (3) وقد فسر "جيري فولويل" عبارة من النيل إلى الفرات بأن الأرض الموعودة هي العراق وسوريا وتركيا والسعودية ومصر والسودان وجميع لبنان والأردن والكويت .

وبالتالي ما تحقق لحد الآن هو إعادة إنشاء دولة إسرائيل في القسم الغربي من إسرائيل التاريخية ريثما يتم ضم الأجزاء الأخرى ، وهذه هي السمة البارزة في كيفية ولادة هذه الدولة، حيث أنها صنعت تصنيعا وغرست غرسا في قلب دول معادية ، تجسيدا لتصورات ورؤى المفكرين الإسرائيليين الذين نجحوا في الاستفادة من الوضع الدولي آنذاك إلى جانب توظيف مجموعة من العوامل الداخلية ، وهو ما يفسر اختيارها من بين مجموعة من البدائل المقترحة لإقامة هذه الدولة مثل أوغندا، الأرجنتين وغيرها ،فهي لم تقم على مناجم من ذهب أو على بحر من البترول، بل كل السبب الرئيسي في اختيارها هو الجانب المعنوي العقائدي أكثر من أي شيء أخر ، وهو ما يؤكد ذلك اليقين عند "Ben gurion" من أن قيام الدولة اليهودية في فلسطين أمر مفروغ منه، والمشكلة الوحيدة أمامه هي: متى الإعلان عن قيامها؟ وليس المشكلة بالنسبة له هي أمن الدولة بعد إعلان قيامها، فقد تولى هو مبكرا بناء القوة القادرة على ضمان هذا الأمن وفرضه .

فشكلت الحركة الصهيونية مجموعة من التنظيمات المسلحة قبل تأسيس دولة إسرائيل قامت بالعديد من العمليات العسكرية، كانت أبرزها منظمة "الهاجانا" التي تأسست سنة 1921في مدينة القدس وهي من المنظمات الصهيونية الرئيسية، إضافة إلى "البالماخ" الذي يعتبر تنظيما صهيونيا عسكريا خالصا، ويدعى "جند العاصفة" وقد تأسس سنة 1941 وهو القوة الضاربة لعصابات "الهاجانا" ومن أبرز قادته" "yigal aloon" إسحاق رابين"،"حاييم برليف" "دافيد أليعازر" وغيرها من التنظيمات ، التي كانت تعتمد على مجموعة من المبادئ خلال عملها المسلح من ضمنها:"الغاية

تبرر الوسيلة " فيعتقدون :" أن الغاية تبرر الوسيلة وعلينا-ونحن نضع خططنا- ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد."

فقيام دولة إسرائيل وفق ظاهرة هي في صميمها ظاهرة غربية أي الاستعمار الاستيطاني الاحلالي، كان نتيجة العجز في الاعتماد على نفسها في تكوين الدولة، ونتيجة للسند الخارجي الذي قدم لها من قبل الدول الكبرى والذي كان أيضا نتيجة لأسباب عديدة أهمها:

1- محاولة هذه الدول وخاصة الاتحاد السوفييتي (سابقا) التخلص من الأعداد الكبيرة لليهود المتواجدين على أراضيه.

2- تحول الجماعات اليهودية إلى جماعات وظيفية تشكل مصدر تهديد لهذه الدول، نتيجة خدمة هذه الجماعات لمصالحها دون مصالح الدولة المتواجدة فيها.

3- ممارسة سياسة فرق تسد على الدول العربية وخلق توازن قوى جديد في المنطقة من خلال زرع إسرائيل وسط الأمة العربية ، وهو ما وضحه "جورشوم شوكن" بقوله:"إن تقوية إسرائيل يساعد الدول الغربية على المحافظة على التوازن و الاستقرار في الشرق الأوسط، وأن على إسرائيل أن تلعب دور كلب الحراسة، وليس هناك خوف من أن تمارس إسرائيل سياسة عدوانية اتجاه الدول العربية، إذا كان ذلك لا يتعارض مع رغبات الولايات المتحدة وبريطانيا، ولكن ولسبب ما إن فضلت الدول الغربية أن تغلق عيونها فبالإمكان الاعتماد على إسرائيل بالقيام بمعاقبة واحدة أو أكثر من الدول المجاورة ، التي تجاوزت تصرفاتها حدود اللياقة المسموح به(4) "هذا ما جعل الحركة الصهيونية في مؤتمر "بال-بازل" في سويسرا عام 1897 تحدد الهدف الرئيسي من الحركة وهو العودة إلى فلسطين.

فكان وصول هذه الجماعات الوظيفية إلى مراكز حساسة لدى الدول الكبرى خاصة بريطانيا ، سببا في صياغة وعد بلفور في 02 نوفمبر 1917 ومن ضمن ما جاء في نصه:"إن حكومته جلالته [الملك البريطاني آنذاك] تنظر بعين العطف لتأسيس وطن قومي للطائفة اليهودية في فلسطين و ستبذل قصارى جهودها لتحقيق هذا الهدف على أن يكون مفهوما بكل وضوح " ، وهذا ما تحدث عنه "YIGAL Aloon" بقوله:"إننا لا بد من المحافظة على صداقة الدول الكبرى وعلى رأسها الدول التي من شأنها تزويدنا بوسائل القتال والمساعدات السياسية والمعونات الاقتصادية"(5)، فكان التشجيع على الهجرة من بين الخطوات الأولى في بناء إسرائيل وهذا ما تحدث عنه "Ben Gurion" بقوله:"انتصار إسرائيل النهائي سيتحقق عن طريق الهجرة اليهودية الكثيفة ثم يضيف: "إن بقاء إسرائيل يعتمد فقط على توفر عامل واحد وهو الهجرة الواسعة إلى إسرائيل" (6)،وهو ما حدث فعلا وأصبح المجتمع الإسرائيلي يضم أقليات كثيرة تتحدث أكثر من لغة ترتب عليه إلزامية البقاء في حالة حرب مع العرب لصرف الانتباه عن التناقضات الموجودة داخل المجتمع ، والتي أفرزت تسيد الثقافة الأوربية على باقي الثقافات الأخرى، وهو ما تحدث عنه "ماكس نورد": "سنحافظ على الثقافة الأوروبية التي

تشربناها خلال الألفي سنة الأخيرة، ولا يسعنا إلا أن نهزأ بالنصائح للتحول إلى آسيويين ونتحول من حيث تاريخ الإنسان الطبيعي والثقافة إلى أسيويين بقدر ما تحول الأنكلوسكسون في أمريكا إلى هنود حمر."(7)

أدت نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945 إلى إفراز قطبين مهيمنين على الساحة الدولية، الاتحاد السوفيتي الاشتراكي والولايات المتحدة الأمريكية الليبرالية ،فكان هدف الاتحاد السوفيتي من دعم إسرائيل هو نشر الشيوعية في آسيا والحد من انتشار الليبرالية ونفس الشيء بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما أدى بالاعتراف بها من طرفهما أول إعلانها، كما كان الدعم الفرنسي واضحا في اكتساب السلاح النووي خاصة، إضافة إلى تسخير المؤسسات الدولية لخدمة الأغراض الإسرائيلية، كدور الأمم المتحدة في إصدار قرار تقسيم فلسطين سنة 1947، قرار مجلس الأمن رقم 242.

إن غرس هذه الدولة في وسط مجموعة من الدول الرافضة تماما لهذا الوجود أدى إلى تولد هاجس أمني، عنوانه الرئيسي إمكانية زوال هذه الدولة في أية لحظة، إذا ما شنت هذه الدول مجتمعة هجوما عليها، وهو ما أدى إلى تبني سياسة أمنية معينة هدفها خلق دولة إسرائيل ثم الحفاظ عليها ثم توسيعها من أجل إنشاء إسرائيل الكبرى من نهر النيل إلى نهر الفرات، فأدركت إسرائيل منذ نشوئها أنها جسم غريب في منطقة متجانسة ، وهذا ما عبر عنه ' Moshie Dayen' بقوله: " نحن قلب مزروع في منطقة ترفضه الأعضاء الأخرى تاريخيا ودينيا وحضاريا ، وليس أمامنا إلا استخدام المضادات الحيوية بصفة مستمرة لكي نبقى"، هذا كله تحت ذريعة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض " (8)، وبالتالي تولد عداء ذا طابع وجودي وليس حدودي مع هذه الدول، ما أدى إلى عجز إسرائيل عن إقامة علاقات طبيعية بينها وبين دول المنطقة، الأمر الذي انعكس على السياسة الأمنية الإسرائيلية من خلال إدراك استحالة وجود سلام شامل في المنطقة، والبقاء دائما على أهبة الاستعداد لاندلاع الحرب في أية لحظة ممكنة، وفي هذا الصدد يقول" :"shimon peres":إن وحدة العرب تزيد من طاقتهم العسكرية دون أن تضعف من عداوتهم لإسرائيل، وعلى ذلك فلا أمل أن يقوم بيننا وبين الوحدة العربية أي نوع من السلام."(9)

السبب الرئيسي في رد الفعل العربي هو ذلك الحلم بأن عصر الاستعمار قد ولى، وأن الدول الواقعة تحت وطأته سوف تتحرر لا محالة وتتحقق بذلك الوحدة العربية المنشودة، بحصول كل الأقطار العربية على استقلالها، سواء كانت تعاني من الاستعمار المباشر أو الانتداب مثل فلسطين.

فكانت الصدمة بالنسبة للفلسطينيين الحالمين باستعادة حريتهم وجلاء بريطانيا عن أرضهم، بوجود أكثر من نصف أرضها تحت سيطرة مستعمر أشد وطأة وتنكيلا من سابقه، إذ يقول "ثيودور هرتزل": "إننا سننصهر في أي مجتمع إذا مكثنا فيه مدة بأمان وهذا ليس من صالحنا.." ، فالصلات التي تربط إسرائيل بمختلف القوى الكبرى والذي من شأنه أن يؤدي إلى استمرارية الانتداب والوصاية على المنطقة، والتعرض لمحاولات البلقنة التي من شأنها إضعاف الصف العربي والحفاظ على إسرائيل القوة الأكبر في المنطقة .

المتتبع لأحداث ولادة دولة إسرائيل يستنتج أن الدور العربي دائما كان رد فعلا للمشاريع الإسرائيلية ، التي كانت تمتاز بالوضوح والدقة سواء من حيث الأهداف أو من حيث الجانب الزمني، والدليل على هذا خطاب "تيودور هرتزل" في 29 أوت 1897 عقب المؤتمر الصهيوني الأول في بازل السويسرية بقوله:"إنني في مؤتمر بازل قد خلقت الدولة اليهودية...ولكني لم أجرؤ على أن أقول ذلك علنا وإلا ضحك العالم ساخرا مني بما في ذلك أغلبية اليهود...ربما في خلال خمس سنوات، وبالقطع خلال خمسين سنة سيدرك العالم وأغلبية اليهود، أنني لم أكن أهزل...ولن يضحكوا ساخرين مني عندئذ ، وهو ما تحقق بالفعل.

2-1 مفهوم الاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية

يشكل الأمن أحد المفاهيم الأكثر تعقيدا في الدراسات السياسية والدولية، وذلك لتشابك عناصره من جهة، وارتباطه بخارطة إدراكية لقراءة وتفسير الحالات أو المجالات أو الظواهر من جهة أخرى. فالأمن هو حالة من الإدراك النسبي للاستقرار والفوضى، ولهذا يقتضي التعامل معه كظاهرة حركية حيوية متعددة الأبعاد والفواعل والغايات وسريعة التشكل وغير ثابتة من حيث منطق الفهم أو التفسير.

ارتبط مفهوم الأمن في البداية بالمنطق الواستفالي الدولاتي، وكان مفهوما تقليديا بسيطا يتمحور حول غياب التهديدات العسكرية للدولة، والمهددة للسيادة. حيث يعرفه "Barry Buzan" وهو من كبار المتخصصين في موضوع الأمن على أنه:"العمل على التحرر من التهديد" ،أما "Henery Kissinger" فيرى أن الأمن هو:"أي تصرف يسعى المجتمع عن طريقه لتحقيق حقه في البقاء ." Survival عن طريق البحث عن القوة والمزيد من القوة getting power، والحفاظ على هذه القوة في تزايد مستمر increasing power ، ثم إظهار هذه القوة demonstrating power،وهذه الزاوية التي ينظر منها الواقعيون لموضوع الأمن ، وبالتالي اختزاله في مفهوم القوة،ولكن مع الحركية والديناميكية المستمرة التي يشهدها العالم أصبحت هذه النظرة ضيقة ولا تستطيع استيعاب التحولات والمستجدات التي تطرأ على الساحة الدولية، وبالتالي بدأنا نتجه إلى تبني نظرة أوسع لموضوع الأمن ، فتجاوز الجوانب العسكرية ليشمل جوانب جديدة، عجزت النظرة التقليدية لإدراكها، فأصبحنا نتحدث عن المجتمع كوحدة تحليلية ،والأمن المجتمعي الذي يتعلق بالجوانب الاقتصادية و البيئية والديموغرافية، بل ذهبنا إلى أبعد من ذلك إذ أصبح الأمن الآن يهتم بالفرد الإنسان تحت ما يسمى بالأمن الإنساني ،الذي لا يقتصر على المنطق الدولاتي أو على الحاجة للاستقرار السياسي بل لضمان حاجيات الكيان ومنطق الوجدان وهذا ما تحدث عنه 'Amartya sen" في كتابه " Developpement As freedom "أن الأمن هو:"في كرامة الإنسان وشرف وصحة الإنسان."

أما الاستراتيجية الأمنية فهي مجموعة من المبادئ والأسس والتصورات والإدراكات التي تهدف في مجموعها إلى الحفاظ على الأمن القومي، والذي لم يعد يعني في مفهومه التقليدي إلى:"الحفاظ على الحدود من العدو الخارجي " ، بل

ألغى التطور التكنولوجي الرهيب عامل الحدود والجانب العسكري، فبعد أن كنا نتحدث عن الأمن الصلب المنحصر في الإستراتيجية العسكرية، أصبحنا نتحدث عن الأمن الاقتصادي، والأمن البيئي والأمن الثقافي، حتى بلغنا مرحلة عالية من التقدم أصبحت الدول فيه تبحث عن الأمن التكنولوجي والأمن المعرفي .

وبالتالي فالاستراتيجية الأمنية تسعى إلى استخدام كل العوامل والتنسيق بينها، من أجل توجيه الدولة إلى تحقيق الأهداف العليا، فالأمن القومي في رأي " : "Barry buzan" هو قدرة الدول على الحفاظ على هويتها المستقلة و وحدتها الوظيفية"،وبالتالي التركيز على القيم المركزية والتي تتضمن في مجملها: البقاء الدولاتي، الاستقلال الوطني، الوحدة الترابية، الرفاه الاقتصادي، الهوية الثقافية. ...

نأتي الآن للاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية ونقول أنه ليست لدى إسرائيل استراتيجية أمنية مصاغة صياغة رسمية بشكل نهائي، تحتوي على مجموعة من المبادئ والأسس والتصورات التي تمت كتابتها وإتباعها أثناء مختلف المراحل التي مرت بها الدولة، وهذا ما جعل "داني شالوم" في صحيفة هاتسوفيه يكتب مقالا في 30 جوان من عام 1999 عنوانه:" من هو المسؤول عن تحديد نظرية الأمن الإسرائيلي؟" ،إنما هي أطروحات فكرية تتعلق بأهمية وجود الدولة وضرورة الحفاظ عليها، ثم تدعيم مستقبلها وتأمين استمرار وجودها ولما كان تأمين هذه المتطلبات يعتمد في أحد أهم عناصره على الاعتبارات الأمنية لتحويل الأمل المنشود إلى واقع ملموس كان الهدف الرئيسي من هذه السياسة الأمنية هو الإجابة عن سؤال مصيري لإسرائيل: كيفية تحقيق الأمن لشعب قليل العدد يواجه كثرة معادية في مساحة ضيقة، مواردها محدودة وهو ما أدى إلى الأخذ بعين الاعتبار هذه المسائل أثناء بلورة هذه السياسة.

فشارك في رسم ملامح هذه السياسة العديد من قادة المجتمع الإسرائيلي الذين كانوا ضمن المؤسسة العسكرية خاصة، أمثال "ben gurion' ، الذي يعتقد أن القوة هي الأساس في الحفاظ على إسرائيل، إلى جانب الاستناد على القوى العظمى ، فيقول " بأن السذج وحدهم هم الذين يحترمون صوت العقل، وهم يتعاملون مع العلاقات الدولية فسياسة إسرائيل يجب أن تقوم على اعتبارات الأمن وحدها وهي: الهجرة، دولة بلا حدود، ضرورة تطويق العرب ومساندة الدول الكبرى." (10)

كذلك أفكار "Moshei Dayen" الذي تحدث صراحة عن مفهوم الأمن، وكيف تنظر إسرائيل لهذا المفهوم ، وهو ما ورد في تصريحه بقوله:"ماذا نعني بالأمن؟ إنه وبصراحة ضم الأراضي، ومن الخطأ الإعلان عن هذا الضم، إذ أن من الحكمة أن نضم الأراضي أولا ثم نعلن عن ذلك "،ثم يضيف" يجب أن لا نسمح للعرب بتعيين حدود إسرائيل ولن تكون إيلات هي حدودنا الجنوبية وإنما شرم الشيخ، ولن تكون المطلة هي حدودنا الشمالية ولكن القنيطرة وستبقى غزة إسرائيلية، بينما تمتد حدودنا الغربية في أعماق سيناء إننا نخلق خريطة جديدة وحدود جديدة، إننا نخلق إسرائيل."(11)

فمعظم القادة العسكريين أمثال"shimon peres ":و "aloon yigal"و "Ereal sharoon"، وغيرهم ساهموا كل واحد من زاويته في إثراء السياسة الأمنية الإسرائيلية حسب ما كان يتصوره، وهذا ما انعكس على "sharoon"إذ يعتبر صاحب أوسع نظرية للأمن الإسرائيلي ويقسم محاور الصراع مع الأعداء إلى ثلاثة كبيرة ،وهي: محور العرب الذين يشكلون حزاما حول إسرائيل ، ومحور الدول العربية الهامشية على محيط الدائرة الإقليمية،والمحور الثالث وهو الأوسع ويشمل تركيا وباكستان والخليج الفارسي وإفريقيا .

إضافة إلى المؤسسة العسكرية نجد أن مراكز الفكر think tanks لها دور فعال في بلورة سياسة أمنية فعالة، فهي مؤسسات تجمع مجموعة من الخبراء وهي مؤسسات خاصة، تصنف بالصيغة القانونية على أنها مؤسسات مستقلة غير حزبية ولا تهدف للربح ، فهي تضطلع بمهام عديدة أهمها:

*القيام بالأبحاث والتحليلات حول المشاكل السياسية.

*تقديم المشورة حول الهموم السياسية العاجلة.

*تقييم البرامج الحكومية.

*تفسير السياسات للوسائل الإعلامية الالكترونية والمطبوعة وبذلك يسهل على عامة الناس تفهمها وكسب الدعم للمبادرات السياسية.

*تزويد الحكومة بالموظفين السياسيين من الخبراء عند تغيير الحكم.

وكان بداية انتشار هذه المراكز في الولايات المتحدة الأمريكية، من أشهرها american enterprise institute، rand corporation، وغيرها...لتشمل العديد من الدول المتقدمة، وإسرائيل على غرار هذه الدول قامت باستحداث مراكز فكر ودراسات مثل مركز Jaffee center for strategic studies :الذي أنشأ عام 1977 في جامعة تل أبيب، ويتم تمويله من المجموعات اليهودية في الولايات المتحدة، ويصدر العديد من الدراسات والبحوث في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية،إضافة إلى مجلة سنوية باسم التوازن العسكري في منطقة الشرق الأوسط ، كذلك المركز متعدد الاختصاص Hertzylia والذي تأسس عام 1994 إذ يعتبر مؤسسة أكاديمية خاصة، ومعهد بيغن/السادات لدراسات السلام الإستراتيجية وغيرها من المراكز الأخرى.

تعمل مراكز الفكر الإسرائيلية على تحليل ودراسة القضايا موضوع الساعة، وتقديم النتائج لصانع القرار في الإدارة الإسرائيلية ، كما تقوم باستشراف للمسائل المستقبلية. ففي المؤتمر السادس لمركز Hertzylia سنة 2006 على سبيل المثال جاء في الملخص التنفيذي لهذه الدورة، على أن التحدي الجوهري الأخطر المطروح على الأجندة الإستراتيجية الإسرائيلية هوسعي إيران للحصول على القنبلة النووية، فصناعة السياسة الأمنية في إسرائيل مسألة شائكة وفي غاية التعقيد و التشابك والتداخل تساهم فيها جميع الفواعل سواء كانت المؤسسات السياسية كالحكومة والكنيست، أو المؤسسة العسكرية

أو مراكز البحث والتفكير وحتى وسائل الإعلام، من أجل صياغة سياسة فعالة و قادرة على تحقيق الأمن القومي والحفاظ عليه .

2- المتغيرات المؤثرة في السياسة الأمنية الإسرائيلية

لقد تميزت الاستريتيجية الأمنية الإسرائيلية بالعقلانية في تحديد الأهداف والغايات، وهذا نابع من إدراك حكيم لكيفية التوفيق بين مختلف الأبعاد والمتغيرات التي تحكم هذه السياسة، رغم أنها لم تكن تمتاز باستقلالية تامة في إدارة مختلف المراحل، وذلك لعدم تمكنها من ذلك، فكان اللجوء في بعض الأحيان إلى البيئة الدولية لتدارك القصور والضعف الذي كان يعترض طريق الإسرائيليين في تعزيز مكانتهم إقليميا ودوليا.

لأن هذه المتغيرات سواء كانت الداخلية منها أو الخارجية فهي عبارة عن سلاح ذو حدين، تحمل ايجابيات من جهة وسلبيات من الجهة الأخرى، ومن ثم فالقرار العقلاني والرشيد هو في كيفية استغلال هذه المتغيرات من أجل رسم سياسة أمنية فعالة وهو ما نحاول في هذا المبحث التطرق إليه من خلال تقسيمه إلى شطرين، متغيرات داخلية كالبعد الجغرافي والديموغرافي والاقتصادي والتكنولوجي، إضافة متغيرات خارجية والمتمثلة في بنية المجتمع الدولي ومكانة إسرائيل فيه، واستخدامها لمختلف الفواعل لكسب التأييد.

2-1 دور المتغير الداخلي

أ – **البعد الجغرافي**: إن تواجد إسرائيل كحلقة وصل بين بحرين بالغي الأهمية المتوسط والأحمر وربطها بين ثلاث قارات كجسر بري وبحري وجوي جعل "ben gurion" يقول:" إن الأمن يعني أيضا غزو البحر والجو كما يعني الأرض، ويجب أن تتحول إسرائيل إلى قوة بحرية هامة، وقد أكدت هذه الحاجة تلك المقاطعة الاقتصادية التي فرضها العرب، وغلق قناة السويس في وجهنا."(12)

وهو ما يفسر اهتمام السياسة الإسرائيلية بمنطقتي مدخل خليج العقبة وباب المندب، وشراء ثلاثة غواصات دولفين ألمانية قادرة على إطلاق الصواريخ من تحت سطح البحر ويبرز ذلك "shimon peres" بقوله:" يجب أن تهتم أوربا بنا بسبب ما تملكه أيدينا، فموقعنا الممتاز يعتبر قوة تمكننا من أن نسد الطريق في وجه القومية العربية، وأن نكون بديلا لقناة السويس وأن نشكل ضغطا على الدول المنتجة للنفط وتلك التي تنقله. "(13)

فإسرائيل تملك القدرة على تهديد أي واحدة من الدول المحيطة بها مباشرة و الوصول إلى مراكزها الحيوية في وقت قصير لهذا يلجأ سلاح الطيران الإسرائيلي للمقاتلات عوضا عن الطائرات الإستراتيجية طويلة المدى، وذلك يوفر على إسرائيل تكاليف طائلة. الميزة نفسها تجعل إسرائيل تواجه صعوبة الدفاع عن جميع الجهات في حالة هجوم معاد شامل

ومفاجئ فتم تبني مبدأ "الحرب الوقائية" preventive war حتى لا تدع للعرب فرصة لتحضير أي هجوم منسق عليها، قد يكون في نجاحه نهايتها كدولة.

كما أن مساحة إسرائيل عشية إعلانها كدولة عام 1948 لم تكن تتربع سوى على مساحة 20700كلم2 على شكل مثلث بالغ الطويل وشديد النحول، مما أعطى لإسرائيل شكلا غير طبيعي، الأمر الذي لا يؤمن لها كما يسمى في الإستراتيجية "بالعمق الاستراتيجي."الذي أثر بدوره وبصورة مباشرة على سياسة إسرائيل الأمنية فدفعها إلى أن ترفض القتال على أرضها رفضا تاما، لقرب مراكزها الحساسة من الحدود وتبني مبدأ نقل المعركة إلى أرض العدو ،فدفعها ذلك إلى التوسع نحو حدود طبيعية أكثر أمنا بحثا عن ما يسمى في الإستراتيجية "بالحدود الآمنة" كلما اقتضت الضرورات الأمنية وذلك بهدف السيطرة على مناطق حيوية وإستراتيجية سواء لأغراض اقتصادية أو عسكرية أو سياسية فيقول في هذا الصدد yigal aloon " ": "إن الحدود الآمنة هي تك الحدود السياسية التي ترتكز على عمق إقليمي وموانع طبيعية ،مثل المياه والجبال والصحراء والممرات الضيقة التي تحول دون تقدم جيوش برية مزودة بالمدرعات وهي الحدود التي تمكن من اتخاذ وسائل الإنذار الفعالة ضد اقتراب الطائرات المعادية من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنها الحدود التي يمكن أن تستخدم كقواعد مناسبة للقيام بهجوم مضاد" (14)

وبالتالي فإن مفهوم الحدود الآمنة لدى إسرائيل مفهوم ديناميكي نسبي غير ثابت ونهائي يتغير بتغير الظروف الذاتية والموضوعية التي تعيشها إسرائيل من أجل الحصول على المزيد من الأراضي والتوسع لإقامة إسرائيل الكبرى المنشودة .

ولهذا اجتهد بعض المسئولين الإسرائيليين في تفسير عبارة الحدود الآمنة باستخدام ألفاظ جديدة، فاستعمل وزير الخارجية الإسرائيلي "أبا إيبن" في تصريح له بالقدس بتاريخ 1969/06/05 عبارة "الحدود التي يمكن الدفاع عنها"، وهي عبارة شاعت بعد ذلك في التصريحات الإسرائيلية إلى أن أضافت إليها" غولدا مائير" وصف "الحدود الرادعة. "

إن تواجد إسرائيل في بيئة جغرافية تتميز بطبيعة صحراوية وسلاسل جبلية وسهول ومناطق مزروعة وكثبان رملية، يتطلب من القوات الإسرائيلية أن تكون لديها الجاهزية على التنقل، لأن الطبيعة الصحراوية تؤدي إلى صعوبة الدفاع عن مواقع ثابتة، كذلك صعوبة القيام بالعمليات النهارية، وسهولة قطع خطوط الإمدادات والمواصلات والاتصالات.

ب- البعد الديموغرافي: إن ما تملكه الدول من كثافة سكانية كبيرة يعتبر نقطة قوة لها، خاصة إذا كانت هذه الكثافة تخضع لمبدأ النوع، فهي تساهم بشكل مباشر في بناء الدولة في جميع القطاعات سواء الاقتصادية أوالعسكرية، فعند نشوب الحروب مثلا تكون الدولة في أمس الحاجة إلى أكبر عدد من المقاتلين تستطيع من خلالهم حسم المعركة لصالحها، وهذه هي المعضلة التي تعاني منها إسرائيل أثناء حروبها مع العرب، فمنذ تأسيس دولة إسرائيل إلى غاية يومنا هذا لا يتجاوز عدد السكان الموجودين بإسرائيل ثمانية ملايين ،مقارنة بأكثر من ثلاث مئة مليون عربي، فهذه المقارنة الكمية البسيطة تظهر التفاوت الهائل بين العرب وإسرائيل لصالح العرب .

ومن ضمن العدد الإجمالي للسكان في إسرائيل نجد أن الجيش الإسرائيلي العامل نحو 168 ألف جندي (رجال ونساء) إضافة إلى 404 ألف جندي احتياط يمكن استدعائهم للخدمة العامة خلال 48-72 ساعة من مختلف المجالات التي يعملون فيها. فلا تسمح هذه الأعداد القليلة مقارنة بالجيوش العربية من جهة، وخوفا من تأثر الاقتصاد الإسرائيلي من جهة أخرى إلى خوض حروب طويلة المدى فتعمد بذلك إلى انتهاج أسلوب "الحرب الخاطفة" ،والاتكال على قدرة الجيش الإسرائيلي وسرعته في التعبئة العامة عند اندلاع الحرب، وهو ما حدث فعلا في مختلف الجولات بين إسرائيل والعرب، إلا أن إسرائيل وهي تحاول أن تكون دولة إقليمية كبرى، أدركت أن لدور الديموغرافيا جانب كبير في ذلك، فانتهجت أسلوب تشجيع الهجرة لحشد أكبر عدد من اليهود إلى فلسطين لزيادة طاقة إسرائيل الاقتصادية والعسكرية،فضلا عن تلبية مخططات إسرائيل التوسعية،فالهجرة اليهودية تولد ضغوطا قوية باتجاه البحث عن الحيز المكاني أو المجال الحيوي .

إن أهمية العامل الديموغرافي بالنسبة لإسرائيل يتجلى في الجانب التكنولوجي والعسكري حيث تشير بعض الدراسات إلى أنه من بين 100 ألف مهاجر يهودي سوفيتي يوجد 40 ألف من المهنيين من المستويات العالية، بينهم نسبة كبيرة من المهندسين ما يقارب 200 عالم متخصص في العلوم التكنولوجية التي تؤثر على مختلف الصناعات.

ج –البعد الاقتصادي: يؤدي الاقتصاد الإسرائيلي دورا أساسيا في بناء دولة قوية ولها مكانة إقليمية متميزة، فيعتبر اقتصاد حرب منذ نشأته مسخر للصناعة الحربية وتطويرها، وجعلها الأكثر تدميرا وقوة في منطقة الشرق الأوسط، فدفع هذا إلى إنشاء مصانع حربية (الأسلحة والعتاد) في كل مكان من تل أبيب، حيفا والقدس، أدى إلى اكتفائها ذاتيا بما تنتجه من أسلحة خفيفة وهاونات ، كما قامت بعقد اتفاقيات شراكة ثنائية مع دول مثل فرنسا* لصناعة الطائرات ، حتى أصبحت مصدرة لعدد من دول أوربا، ودول افريقية وبعض دول الشرق الأقصى، ويعتمد الاقتصاد الإسرائيلي على الدعم الخارجي خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وما تضيفه الأيادي المهاجرة إليها من تقنية عصرية و متطورة، خاصة الصناعة ذات التقنية العالية "hightech" اضافة إلى الدعم البريطاني لسلاح الدروع والمدفعية والبحرية، كذلك كل من تشيكوسلوفاكيا سابقا، ايطاليا وألمانيا وغيرها.

فكانت إسرائيل تحرص على اقتناء كل ما هو جديد وحديث في مجال الأسلحة خفيفة كانت أم ثقيلة، حتى تضمن "التفوق النوعي" الدائم والمستمر على حساب الدول العربية، على غرار ما هو حاصل بالنسبة لقوة الاقتصاد الإسرائيلي مقارنة بالدول العربية إذ نجد أن اقتصاد إسرائيل يحقق نسبة من الأرباح وعلى درجة عالية من التطور ينافس حتى بعض دول أوربا، فهناك من يصنفه في خانة العالم المتقدم عكس الاقتصاديات العربية الريعية، مما يجعله قادر على دفع فاتورة وتكلفة أي حرب معينة مهما كانت باهضة، وكان تخلي بعض الدول عن إمدادها بدبابات متطورة، سببا في إصدار قرار عام 1970 بصناعة دبابة حربية، وكان أول تشغيل لها عام 1979 وسميت ب:"ميركافا" وكان تطويرها تدريجيا إلى غاية الجيل الرابع منها عام 1995، فأصبحت بمثابة الأسطورةّ " التي تخافها الدول العربية .

إن التطور المستمر في الصناعة العسكرية يؤدي إلى تقليص الخسائر البشرية أثناء الحروب ، والبحث دائما عن ما يسمى ب "le risque zéro" :وهو ما يطلق عليه في الثورة الجديدة في الشؤون العسكرية "بالحرب بدون ضحايا . " (15)

فأصبحت إسرائيل بفضل الصناعة المتطورة من بين الدول التي تملك آلات عسكرية عالية الجودة بامتياز ، انعكست على الجندي الإسرائيلي ايجابا من جهة وسلبا على الجنود الأخرى من جهة أخرى.

د- **البعد التكنولوجي** : إن التطور التكنولوجي الرهيب الذي حدث في القرن 20 مس جميع جوانب الحياة، وأدى إلى اكتشاف العديد من التقنيات التي أعادت ترتيب الحسابات في العديد من مناطق العالم، فتفجير كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي للقنبلة النووية أدى إلى الدخول في شكل جديد من سباق التسلح، فالتحقت دول أخرى مثل فرنسا سنة 1960 إلى النادي النووي، إضافة إلى دول أخرى.

بدأت أطماع إسرائيل للحصول على التكنولوجيا النووية منذ قيامها عام 1948، ولأول مرة ظهرت هذه النية بعد الاعتداء الثلاثي على مصر عام 1956، إذ ظهر أن من جملة شروط التعاون الفرنسي- الإسرائيلي في مهاجمة مصر، هو إمداد فرنسا لإسرائيل بأسرار الذرة وموادها الأولية المتيسرة لديها، فكان الدعم الفرنسي الذي أتاح للعلماء الإسرائيليين الوصول إلى التكنولوجيا النووية ، فيقول "بيير بيان" مؤلف كتاب "قنبلتان":"إن إسرائيل تمكنت من إنتاج أول قنبلة قبل حرب الأيام الستة وبالتحديد سنة 1966 وهذا ما يذهب إليه كثير من خبراء الذرة استنادا إلى تحليلات أجروها .

وتميزت السياسة النووية الإسرائيلية بأربعة مبادئ :

أولها: مبدأ الغموض النووي، أي عدم السماح لأي دولة أو منظمة أو هيئة رسمية أجنبية من الاطلاع على حقيقتها النووية، وفي هذا الصدد يقول" "moshei dayan": إسرائيل ليست قوة نووية، ولن تكون الدولة الأولى التي ستدخل السلاح النووي إلى منطقة الشرق الأوسط، لكنها لن تكون الثانية التي تفعل ذلك"، وذلك خوفا من النتائج السلبية أمام الرأي العام الدولي، وإعطاء ذريعة للدول العربية نحو اكتساب هذا السلاح.

ثانيا: مبدأ الاحتكار النووي للحفاظ على اختلال التوازن النووي في المنطقة لصالح إسرائيل بالوسائل غير الشرعية ، كتورط جهاز المخابرات الإسرائيلي في اغتيال "يحي المشد" أحد أكبر علماء الذرة العرب، أو توجيه ضربة عسكرية من أجل تدمير مشروع لاكتساب مثل هذه التكنولوجيا، كما حصل مع مفاعل "أوزيراك" العراقي سنة 1981 أو التهديد بفعل ذلك مستقبلا مع إيران.

ثالثا: مبدأ الاستعداد لأسوأ الحالات، وهو مأخوذ من العقيدة العسكرية الأمريكية أي جعل السلاح النووي كخيار وملاذ أخير، إذا ما كانت إسرائيل في حالة انهزام عسكري يهدد بزوالها وفق إستراتيجية "العقرب" بتدمير منطقة الشرق الأوسط كلها بما فيها إسرائيل.

رابعا: وأخيرا مبدأ رفض مبادرات الحد من التسلح ونزع السلاح ، وهو موقف ثابت ومستمر منذ معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية سنة 1968، فإسرائيل ترفض رفضا تاما ومطلقا الانضمام والتوقيع عليها ، بحجة أن المنطقة المتواجدة فيها تضم دولا معادية لها، ممكن في أي لحظة أن تشن عليها هجوما، فهي إذا منطقة تعاني من عدم الاستقرار.

إن اكتساب إسرائيل للسلاح النووي أدى إلى انفرادها بالسيطرة على أسلحة الدمار الشامل في منطقة الشرق الأوسط، مما أتاح لها إقامة "حدود الخوف" أمام العرب، وتطبيق سياسة "الردع النووي" تمكنها من ممارسة أسلوب الإملاء على العرب، وهو ما تحدث عنه "moshei dayan" بعدم قدرة إسرائيل على مجاراة الدول العربية في سباق التسلح التقليدي الذي قد يؤدي إلى عدم تحملها لانعكاسات ذلك على اقتصادها بصفة خاصة والمجالات الأخرى بدرجة أقل، بقوله :"إن إسرائيل وصلت إلى أقصى حدود القدرة على استيعاب كمية إضافية من الأسلحة التقليدية، ويجب أن نحاول الوصول إلى خيار ذري، حتى يعرف العرب أننا نستطيع أيضا تدميرهم، إذا نشأ وضع أصبح فيه وجود الدولة عرضة لخطر كبير "ويضيف:"لا نستطيع أن نطور إلى ما لا نهاية أجيالا عديدة من الطائرات، ونحول البلد بأكمله إلى مخزن سلاح واحد كبير، نحن مضطرون إلى التشديد على نوعية السلاح لا على كميته، وعلينا التزود بسلاح مدمر، يخدم كعامل ردع إزاء الدول العربية، وأننا لا نستطيع اللحاق بكميات السلاح الضخمة التي تزودت بها الدول العربية وعلينا من الآن السير في طريق آخر . " (16)

حتى على المستوى الإقليمي تحاول إسرائيل دائما مراقبة الأنشطة النووية الموجودة في المنطقة، وما تفعله الآن ضد إيران، وما تحاوله بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة للسلاح النووي الباكستاني، إلى الدعوة لبسط حماية أمريكية على البرنامج النووي الباكستاني، إضافة إلى التعاون الإسرائيلي الهندي في أبحاث الصواريخ وأقمار التجسس العسكرية، خير دليل على ذلك ، ناهيك عن قصف ما اعتبرته إسرائيل مفاعل نووي سوري، أقيم بالتعاون مع كوريا الشمالية مؤخرا، فكان إمتلاك إسرائيل للسلاح النووي بمثابة النقلة النوعية في الإستراتيجية الإسرائيلية من مستوى الردع التقليدي إلى مستوى أشدة فاعلية وتأثير وهو الردع النووي، وهو ما يفسر ذلك الربط الوثيق بين العلم والتكنولوجيا والسياسة الأمنية، إذ يقول"عاموس بير لموثر" عضو سابق في مؤسسة الطاقة الذرية الإسرائيلية :"في إسرائيل كان العلم دائما مرتبطا بقوة مع الأمن، فمنذ عام 1947 نظمت الهاجانا فروع علمية ضمت خيرة العلماء، والذين أصبحوا جزءا من العاملين في وزارة الدفاع وطوروا البحوث في المجالات العسكرية والنووية.

2-2 دور المتغير الخارجي

ونقصد به مجموع العوامل التي تفرزها البيئة الخارجية، والتي تنعكس بشكل مباشر أو غير مباشر في بلورة السياسة الأمنية، فالكثير من القرارات والسلوكات والسياسات للدول على المستوى الخارجي، لا يمكن تفسيرها إلا في إطار كونها رد فعل اتجاه ما تستقبله الدولة من أفعال من البيئة الخارجية، ولهذا السبب نجد تجاوب وانسجام بين الفعل ورد الفعل، فإذا استقبلت الدولة فعل سلمي تعاوني فيكون رد فعلها مماثل، والعكس صحيح . إلا أن هذه القاعدة ليست عامة، فهي تحكمها محددات عديدة من بينها: بنية المجتمع الدولي، ومكانة الدولة في هرمية النظام الدولي، ونوعية تحالفاتها الدولية، وما ينتج عنها من معاهدات واتفاقيات دولية، إضافة إلى دور الفواعل غير الدول كاللوبيات المؤثرة في السياسة الدولية وغيرها من المحددات الأخرى.

إن المجتمع الدولي يضم دولا ذات سيادة متساوية من منظور القانون الدولي، ولكنها تتفاوت من حيث حجمها وشدة تأثيرها ولهذا فالميزة التي تصف هذا المجتمع الدولي أنه فوضوي ، كما سماه "hedley bull" في كتابه "المجتمع الفوضوي" "the anarchical society" ، فكل الدول هي في حالة تنافس قد يصل في بعض الأحيان إلى الصراع، وقد يصل في بعض الأحيان الأخرى إلى تعاون، بغرض تحقيق مصالحها، وهو ما نلمسه في السياسة الأمنية الإسرائيلية، بأنها في ظل هذه الفوضى تسعى دائما إلى الزيادة المستمرة في شروط أمنها واستقرارها، تصل إلى سياسة الرغبة في الهيمنة seeking hegemony security كما يرى: "john mearsheimer" إن الدول تسعى إلى تحقيق الهيمنة الجهوية لمنع دول أخرى من تحقيق هيمنة جهوية منافسة. وهو ما يفسر احتكار إسرائيل للتكنولوجيا النووية في المنطقة، وعدم السماح لدولة أخرى لاكتسابها، كذلك الحفاظ على التطور والتقدم الاقتصادي مقارنة بالدول المجاورة، لكن هذا ليس بفضل الإمكانيات الإسرائيلية الذاتية فقط، فهذه الدولة كما رأينا في كيفية نشأتها قد استفادت من دعم خارجي كبير ومؤثر، بفضل علاقاتها وتحالفاتها النوعية، فالأمن الإسرائيلي مثلا ثابت من ثوابت السياسة الخارجية الأمريكية،وهو ما جعل الرئيس الأمريكي السابق "Greoge bush sun" يصرح عند زيارة إسرائيل في الذكرى الستين لتأسيسها بأن:"من الخطأ الاعتقاد بأن عدد الإسرائيليين ستة ملايين، لأن العدد الحقيقي هو ثلاثمائة و ستة ملايين أي بإضافة عدد الأمريكيين"(17). وهي إشارة واضحة إلى المكانة المقدسة التي تحتلها إسرائيل في الأجندة الخارجية الأمريكية، حتى أن بعض السياسيين والأكاديميين يطرحون الإشكالية حول "من يؤثر في من؟"، هل إسرائيل هي التي تؤثر في الولايات المتحدة الأمريكية أم العكس؟، وهذا ما جعل "john mearsheimer" و "stephen walt" في كتابهما الشهير "the israeli lobby and the us foreign policy" يتحدثان عن العلاقة الضبابية بين كل من واشنطن وتل أبيب، ودور "AIPAC "Imerican israeli public affairs committee في التأثير سواء على السلطة التشريعية من جهة و التنفيذية من جهة أخرى ، لاتخاذ القرار الأمريكي الداعم والحافظ للأمن القومي الإسرائيلي. (18)

فقبل أن تتحول المنظمات اليهودية إلى تنظيم رسمي سنة 1960 كانت تضم حوالي 35 مؤسسة يهودية أمريكية موالية لإسرائيل، وتعمل على توطيد المصالح الإسرائيلية في الولايات المتحدة الأمريكية وفي منطقة الشرق الأوسط. يتجلى في بدايات التعاون بينهما، فقد بلغ حجم التعاون في عهد الرئيس الأسبق جونسون سنة 1966 في المجال العسكري: 92 مليون دولار، وهو ما يعادل حجم المعونات التي قدمتها أمريكا لإسرائيل منذ قيامها عام 1948 ، وهو ما انعكس بشكل مباشرة على حرب الستة الأيام عام 1967 من إلحاق الهزيمة بالجيوش المصرية والأردنية والسورية والاستيلاء على الأراضي، وهو أحد الأهداف الرئيسية للسياسة الأمنية الإسرائيلية، التي تعززت سنة 1981 باتفاقية تعاون تقضي بتمكين البلدين من التعاون وتقديم كل طرف يد المساعدة للآخر لمواجهة التهديدات الأمنية في المنطقة بأكملها من الاتحاد السوفيتي والقوى الإقليمية في المنطقة، وقد تم تحديد أهداف هذه الاتفاقية في نقاط 3 هي:

-1إجراء مناورات بحرية وجوية مشتركة في البحر المتوسط.

-2تضع إسرائيل تحت تصرف أمريكا كافة التسهيلات المتعلقة بالنشاطات الحربية.

-3التعاون في مجال البحوث العسكرية لصناعة الأسلحة.

لم تكتف إسرائيل بهذا القدر من التنسيق مع الولايات المتحدة الأمريكية، بل انظمت إلى مبادرة الدفاع الاستراتيجي sdi strategic defense initiativeعام 1983، من أجل تحسين وتطوير الصناعات العسكرية الإسرائيلية .يمكن أيضا الإشارة إلى التحالف الإسرائيلي التركي الذي تعود جذوره إلى سنة 1950، حيث قامت إسرائيل بإنشاء محطة الموساد في تركيا من أجل التدريب التقني و الاستخباراتي، و المجالات الأمنية الأخرى.

وقد تعزز هذا التحالف بعد الزيارة السرية التي قامت بها "غولدا مائير" وزيرة الخارجية الإسرائيلية إلى تركيا آنذاك، حيث تم التوقيع في أعقاب هذه الزيارة على اتفاق سري بين رئيسي وزراء الجانبين "ben gurion" و "عدنان مندريس" سنة 1958، للوقوف في وجه النفوذ السوفيتي . لم تكتفي إسرائيل بتحالفاتها الدولية لتكريس سياستها الأمنية بل اتجهت إلى التوقيع على اتفاقيات سلام مع بعض دول الطوق لإخراجها من اللعبة السياسية والأمنية، وتركيز الصراع في أقل عدد من الجبهات، وهو ما تجلى فعلا في اتفاقية كامب ديفيد" الشهيرة التي تم التوقيع عليها في 26 مارس 1979، وهو نفس اليوم الذي شهد توقيع مذكرة تعاون أمريكية إسرائيلية بين وزيري دفاع البلدين. بعد توقيع اتفاقيات السلام بين إسرائيل وبعض دول الطوق، تغيرت ملامح البيئة الأمنية، حيث أصبحت إسرائيل قلقة من أخطار تأتي من دول ليست لها معها حدود مشتركة مثل العراق قبل غزوه،والآن إيران نتيجة إمتلاكهما صواريخ باليستية وصواريخ كروز قادرة على اختراق الحدود الآمنة وضرب العمق الاستراتيجي الإسرائيلي.20

3- المراحل التي مرت بها الاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية

إن السياسة الأمنية الإسرائيلية مرت بفترات مختلفة من مراحل الصراع، فبعد أن كانت البداية مع حروب متماثلة يكون كلتا طرفيها دول، تحولت إلى بداية نوع جديد من الحروب اللاتماثلية في شكل مقاومات شعبية منسجمة ومنظمة ومتدربة بشكل كافي لمواجهة أقوى جيش في الشرق الأوسط. إضافة إلى ظهور قوى جديدة مهددة للكيان الإسرائيلي من خارج المنطقة العربية، والمتمثلة في إيران، أدت إلى تغيير طبيعة المعادلة في المنطقة، نظرا لما تحمله من جانب فكري وعقائدي، أولما تمتلكه من قدرات عسكرية وتكنولوجية، قادرة على فرض توازن قوي في المنطقة مستقبلا، عكس البرنامج النووي العراقي الذي تم وأده وهو في المهد قبل أن يرى النور. فالتغيرات المستمرة للأحداث يستوجب متابعة ومسايرة من طرف السياسة الأمنية الإسرائيلية باستحداث استراتيجيات جديدة، بغية إعطاء الأمل للمواطن الإسرائيلي للشعور بالأمن.

3-1 الحروب النظامية

إن التحدي الأول لإنشاء دولة إسرائيل هو كيفية مواجهة دول معادية لهذه الفكرة، والأمر الحتمي الذي ترتب عن ذلك هو قيام حروب تماثلية بين جيوش عربية من جهة والجيش الإسرائيلي من جهة أخرى.

- **حرب 1948**: كانت أهمية الجولة الأولى عام 1948 تكمن في أنها حجر الأساس وجوهر الإستراتيجية الإسرائيلية فلقد وجدت إسرائيل نفسها منذ قيامها في 14 ماي 1948 أمام مجموعة من التحديات، فضلا عن إحاطتها بدول معادية [دول الطوق] الأمر الذي انعكس على السياسة الأمنية الإسرائيلية.

إذ تم التحول والانتقال السريع من الدفاع إلى الهجوم الوقائي، وامتلاك زمام المبادرة أي القيام بالفعل دون الاقتصار على رد الفعل، وذلك لسببين اثنين هما :

-1غياب الحدود التي يمكن الدفاع عنها نظرا لفقدان إسرائيل العمق الاستراتيجي الذي يحمي الأهداف الحيوية للدولة.

-2التفوق الكمي للعرب الذي يمثل في الإستراتيجية المبدأ الأول من مبادئ الحرب، وفي هذا الصدد يقول "آرييل ليفتا": "في الفترة ما بين حرب 1948، و حتى عام 1955، ساد لدى القيادة الإسرائيلية الافتراض بأن الحرب مع العرب إذا ما اندلعت فستكون بمبادرة عربية فقط، لذلك طلب من الجيش الإسرائيلي الاستعداد والتأهب لصد هجوم (العدو) أولا وبعد ذلك فقط وبأسرع وقت ممكن نقل الحرب إلى أرضه ،وبالتالي كان الهدف الأول من السياسة الأمنية الإسرائيلية هو الانتقال من إستراتيجية الدفاع إلى إستراتيجية الحرب الوقائية والحرب الاستباقية.

واستغلت إسرائيل انعدام إستراتيجية أو تخطيط عسكري عربي لهذه الحرب فكانت النتيجة أن مني الجيش العربي بهزيمة كانت سببا في التوقيع على معاهدة الدفاع العربي المشترك بين كل من سوريا، لبنان، الأردن، العراق و السعودية سنة 1950 من اجل الانتقام لهذه الهزيمة . فلقد كان التركيز في حرب 1948 من الجانب التكتيكي على استخدام المشاة وحدهم، مع السعي لنقل المعركة إلى أراضي الخصم، وكان هذا التكتيك يعتمد على استخدام الهجمات الليلية والكمائن والتسلل [هجمات الكومندوس خلف الخطوط] وكانت القدرة الحركية الإسرائيلية مقيدة بشكل حاد بطبيعة الأرض ونقص الآليات، وطبيعة قتال المشاة، الذين شكلوا جيش الدفاع الإسرائيلي Israeli defense forces "في 26 ماي 1948 بدمج المنظمات العسكرية التي رأيناها سابقا. (19)

- **حرب 1956**: حاولت إسرائيل بعد الجولة الأولى استخلاص العبر والدروس العسكرية ومحاولة تجنب المطبات التي وقعت فيها، بالتخلي عن مبدأ الدفاع ورسم عقيدة عسكرية ترتكز على الحرب الاستباقية، وهذا ما برره "yigal aloon" بقوله:"إن الأخذ بإستراتيجية دفاعية خالصة تسمح للعدو بأن يختار بكل حرية زمان ومكان وأسلوب هجومه، معناه تعويض إسرائيل لأفدح الأخطار، إن الرد الوحيد على أي تهديد بالهجوم هو المبادرة الشاملة من جانب إسرائيل بهجوم مضاد إجهاضي إذا استدعى الأمر، بهدف تحطيم قوات العدو، ولذا فإن جيش الدفاع الإسرائيلي يجب أن يتقدم إلى الحد الضروري لضمان هزيمة قوات العدو، وخلق وضع استراتيجي جديد يوفر حدودا أكثر أمنا لمواجهة أي هجمات مستقبلية واحتلال أراضي العدو واستباقها إلى أن يتم تحقيق السلام و تحديد الحدود الإستراتيجية الدائمة،(20) وهو ما حدث في حرب 1956 الذي كان الهدف منها حسب "Ben gurion" تحقيق ثلاثة أهداف هي:

1- تحطيم قوى العدو في جزيرة سيناء.

2- تحرير جزء من أراضي الأجداد الموجودة تحت سيطرة أجنبية.

3- ضمان حرية الملاحة في خليج العقبة وقناة السويس.

فكانت إسرائيل قد حصلت على السلاح من دول أجنبية خاصة فرنسا، ومن ضمن الأسلحة طائرات ميستير، ومن ثم إدخال القوة الجوية للدعم الناري في أرض المعركة، إضافة إلى إشراك المزيد من المظليين في الحرب فتم إسقاط 400 مضلي على الطرف الشرقي لممر متيلا ، ظنا من إسرائيل أنها استطاعت تجميع قوة تقوم بهجوم مضاد لإحباط هجوم مصري متوقع، وهو ما تحدث عنه "تيسفي لانير" الباحث في مركز الدراسات الإستراتيجية بجامعة تل أبيب، بقوله:"لقد خاضت إسرائيل حملة سيناء 1956 بمفهوم سياسي وإن لم يكن معلنا وهو أن الحرب ينبغي استغلالها من أجل توسيع الحدود إلى ما وراء تلك التي تحددت في قرار التقسيم، وتسوية ما يعتبر في نظر إسرائيل أخطاء إقليمية نجمت عن اتفاقيات الهدنة منذ عام

1949" (21)،فكان من ضمن عقيدتها العسكرية في الجانب التكتيكي الجديد استخدام الدبابات نظرا لاختلاف ساحة الحرب عما كانت عليه في 1948، إذ أنها في جولة 1956 تقاتل على صحراء مكشوفة تستطيع الدبابات والآليات التحرك عليها.وعند انتهاء الحرب كانت العبرة لدى الإسرائيليين تكمن في مدى نجاعة الهجوم الوقائي أو الحرب الوقائية وصحة مبدأ نقل المعركة إلى أرض العدو.

إلا أن فكرة الاستعانة بالقوى الخارجية كما حدث بالنسبة لبريطانيا وفرنسا بدأت تضمحل وتعوض بفكرة ضرورة الاعتماد على الذات، إذ ما تخشاه إسرائيل في حالة الاستعانة بقوى كبرى، هو فشل المشروع التوسعي نحو إسرائيل الكبرى، نظرا لما يترتب على ذلك من احتمالات ممارسة ضغوط عليها، يمكن أن تحد من حرية حركتها، مثلما حدث في هذه الجولة عقب انتهاء الحرب، إذ تدعي إسرائيل أن الولايات المتحدة الأمريكية مارست ضغوطا عليها أدت إلى انسحابها من كل الأراضي التي احتلتها وحرمتها من ثمار النصر .

- **حرب 1967**: لقد كان العنوان العريض لإستراتيجية إسرائيل العسكرية عقب حرب 1956 هو "الأسباب المبررة للحرب"، الذي يقوم على تحديد الخطوط الحمراء والذي يمثل تجاوزها مبررا يؤدي إلى قيام إسرائيل بشن حرب وقائية دون انتظارها، وإدراك القيادة الإسرائيلية لوجوب الاعتماد على الذات وليس فقط الاعتماد على التحالفات الخارجية، فكان الهدف الرئيسي من حرب 1967 هو الحصول على حدود قابلة للدفاع عنها" ،فقام سلاح الجو الإسرائيلي بالضربة الأولى، وانهارت القوات العربية البرية في وجه القوات المدرعة الإسرائيلية الضخمة وسريعة الحركة، فتم مهاجمة 27 مطارا مصريا وسوريا وأردنيا، وتدمير معظم الطائرات بهذه المطارات، وبهذه الطريقة استطاعت إسرائيل توفير السيطرة الجوية، وركزت جهودها بعد ذلك لدعم أعمال قواتها البرية.

إذ أنه في هذه الحرب ولأول مرة استطاعت إسرائيل كسب عمق استراتيجي أدى إلى الاعتقاد بأن كل الحروب التي سوف تلي هذه الجولة ستكون خارج حدودها وهو ما رسخ فكرة الحدود الآمنة، والإشادة بأهمية القوات الجوية لدرجة أنه أصبح يطلق عليها وصف "الذراع الطويلة." وتجدر الإشارة إلى أنه قبل "Six day war" بقليل كانت إسرائيل قد اكتسبت السلاح النووي وهو ما انعكس على النفسية لدى صانع القرار الإسرائيلي سواء كان السياسي أم العسكري، ومن ثم على السياسة الأمنية الإسرائيلية من خلال الاعتقاد بأن إسرائيل هي أول دولة في منطقة الشرق الأوسط استطاعت الوصول إلى التكنولوجية النووية العسكرية ،وازداد اقتناع المخططين في الجيش الإسرائيلي أكثر من أي وقت مضى، بأنهم أصابوا في صياغة أشكال الحرب الحديثة وأساليبها ونتيجة لذلك أصبح الجيش الإسرائيلي بين 1967-1973 أكثر اعتمادا على الدبابة مع تخفيف الاعتماد على المشاة والمدفعية.

وكاستخلاص لحرب 1967 صرح "Moshei dayen" قائلا:"لقد أصبح الدفاع عن حدود إسرائيل أسهل بكثير مما كان عليه في السابق" ، وهي نفس الفكرة التي دافع عنها الجنرال "إسرائيل طال" بقوله:"بعد حرب الأيام

الستة طرأ تحول حاسم ورئيسي على الوضع الاستراتيجي لدولة إسرائيل، فقد خلق عمقا استراتيجيا إذ أصبحت قناة السويس بمثابة حدود، وكذلك نهر الأردن، وأصبحت هضبة الجولان بأيدينا."(22) إن وصف جولة 1967 بحرب الستة أيام كان دلالة على إستراتيجية الحرب الخاطفة المطبقة خلال الحرب، وهذا ما تحبذه إسرائيل في حروبها مع العرب، لقدرة إسرائيل على التعبئة في فترة قصوى من 48-72 ساعة، وحتى لا تنعكس سلبا على الاقتصاد الإسرائيلي.

فلقد تبنت إسرائيل في هذه المرحلة إستراتيجية تقوم على مبدأي "الردع و الدفاع"على اعتبار أن خطوط وقف إطلاق النار الجديدة تؤمن لها عمقا استراتيجيا يمكنها من امتصاص الضربة الأولى وهو ما أكده "yigal aloon" قائلا: "وضعية دفاعية تمكن الجيش الصغير من صد جيوش عربية غازية إلى حين استدعاء الاحتياط، مما يتيح الوقت للقيام بحرب وقائية في وجود دلائل على هجوم عربي ضخم."

فكانت الحدود الآمنة الجديدة طويلة و بعيدة عن مراكز تجمع السكان، حيث جنود الجيش الاحتياطي فهذا ما أدى بإسرائيل إلى اتباع إستراتيجية دفاعية، وتنشئ مخازن للطوارئ وأن تبني كذلك تحصينات خط بارليف، وكذلك عوائق في منطقة الجولان حتى يتمكن الجيش الإسرائيلي الصغير من الدفاع عن الحدود الطويلة التي اكتسبتها عقب حرب 1967.

وهذا ما جعل القادة العسكريين الإسرائيليين يعتقدون أنهم قادرون على امتصاص الضربة الأولى ثم احتوائها ثم الرد عليها، وهذا ما يبرر تصريح "إسرائيل طال": "وهكذا تبينا وللمرة الأولى في تاريخنا، فكرة أننا لسنا مجبرين على خوض حرب هجومية، لأن الوضع الجديد يسمح لنا بخوض حرب دفاعية أي نستطيع أن لا نكون غير مهاجمين، إلا أننا من جهة أخرى اضطررنا إلى الاستناد على مفهوم الدفاع الثابت بصفة مؤقتة، وبهذا أصبح لدينا في النهاية عمقا استراتيجيا ومن ثم لم نعد مضطرين أن نعتمد في أمننا في حالة الحرب على الهجوم وأصبحنا نستطيع التصرف-كشعب عادي- وخوض حرب دفاعية وإتباع أسلوب الدفاع المتحرك إذا اقتضى الأمر في المرحلة الافتتاحية للحرب، ثم التحول للإستراتيجية الهجومية مرة أخرى."(23)

- **حرب 1973** : (يوم الغفران) لقد كانت الجولة الرابعة من الحروب العربية الإسرائيلية المتواصلة تختلف اختلافا كبيرا عن سابقاتها، حيث أخذ العرب زمام المبادرة في هذه المرة، وكانت حربا متماثلة بين جيشين نظاميين، وهناك من المحللين من يعتقدون أنها أخر حرب نظامية.

لقد شن العرب الحرب وهم يملكون طاقة لا يستهان بها من وسائل الدفاع الجوي، ولم تتمكن الدبابات الإسرائيلية من اقتحام الأراضي العربية بسرعة، كما حدث في الحروب السابقة، حيث أن هذه الحرب بقيت محصورة في رقعة جغرافية من الأرض وأدت إلى عدم تأمين القدرة على السيطرة الجوية من جهة، وفشل تطبيق عقيدة استخدام الدبابات وحدها،بسبب فاعلية كل من الصواريخ المضادة للدبابات والصواريخ المضادة للطائرات.

فكانت الدروس العسكرية المكتسبة من حرب 1973 سببا في إقناع الإسرائيليين بالتحول من عقيدة استخدام الدبابات زائد القوة الجوية كعامل حسم داخل المعركة، إلى عقيدة تعتمد على أسلحة من مختلف الأصناف ، ولكن الغريب في هذه الحرب هو أن أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية كانت على علم بالحشود العسكرية العربية على الجبهتين المصرية والسورية وهذا ما يفسره تعزيز الحدود باللواء السابع المدرع، وزرع الألغام وحفر الخندق المضاد للدبابات ولكن سوء التقدير السياسي والعسكري من جانب الاستخبارات الإسرائيلية في إعلان التعبئة العامة في الوقت المبكر واستبعاد فكرة قيام كل من مصر وسوريا بشن حرب واسعة من هذا القبيل، نتيجة تخوفهما من قوة الردع الإسرائيلية المتفوقة، فلقد أثبتت حرب أكتوبر 1973 وجود ثغرات في الإستراتيجية الإسرائيلية، وهو ما جاء في التقرير الخاص الذي أعدته اللجنة الفرعية التابعة للجنة القوات المسلحة في الكونغرس الأمريكي، وهو ما أكده أيضا "إيتان هيفر" عند انتقاده للقادة العسكريين الذين أداروا الحرب بقوله :"كانوا منذ اللحظة الأولى واثقين بأن الطائرة والدبابة تحلان المشكلة . "(24)

ولكن ما لم تلغه هذه الحرب هو إستراتيجية "الردع التقليدي" لأنها عادت لتتخذ مكانا رئيسيا فيها فيما بعد، وهذا ما أكده الجنرال "موردخاي جور" عما إذا كان الجيش الإسرائيلي قد استعاد قوته الرادعة فأجاب: "إذا حللنا الفكرة منذ يوم الغفران وحتى اليوم، بالإمكان الجزم بأننا استعدنا قوة الردع هذه ولا أريد المبالغة فيها، ولا الاعتماد عليها أكثر من اللازم"، وهذا ما تجلى فعلا من خلال القيام بمراجعات للإستراتيجية الإسرائيلية أدت إلى إدخال تغييرات جديدة من بينها:

-1تطوير منظومة الاستخبارات والاستطلاع لتوفير المعلومات الدقيقة حتى يمكن تفادي المباغتة مرة أخرى، مع ضرورة تحقيق تعاون كامل في ذلك مع الولايات المتحدة الأمريكية.

-2عدم الاعتماد على جهاز إنذار واحد والأخذ بمبدأ الاعتماد على أكثر من جهة استخباراتية.

4- التأكيد على استمرار العمل بقانون "نقل الحرب إلى أرض العدو" في أقرب فرصة ممكنة.

-4التعبئة السريعة لقوات الاحتياط، بالحجم الذي تحتاجه إسرائيل في الوقت المناسب.

2-3 الحروب اللاتماثلية

بعد توقيع بعض الدول العربية لمعاهدات سلام مع إسرائيل أصبحت المعضلة الإستراتيجية التي تواجه السياسة الأمنية الإسرائيلية هي المقاومة، سواء كانت الفلسطينية أو اللبنانية والمتمثلة في حزب الله. * **حرب سلامة الجليل لبنان 1982**: في عام 1981 وبالتحديد في شهر جويلية قامت منظمة التحرير الفلسطينية بإطلاق صواريخ الكاتيوشا على المدن الشمالية في الجليل، دامت حوالي 10 أيام، نجمت عنها خسائر مادية ومعنوية، سبقتها محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن في 03 جوان 1982، وانتقال منظمة التحرير من الأردن إلى لبنان، فكان المبرر الإسرائيلي لاستخدام " الحرب الاستباقية"، فشنت في 04 جوان 1982 هجمات جوية ضد أهداف منظمة التحرير في لبنان فكان رد الفعل من

منظمة التحرير هو إطلاق المزيد من الصواريخ الكاتيوشا، فكانت بمثابة "ذريعة الحرب" لشن هجوم إسرائيلي واسع يوم 06 جوان 1982 أطلق عليه اسم عملية "السلام من اجل الجليل" وكان هذا الهجوم حرب لاختبار آلة حربية جديدة في ميدان قتال مختلف عن الميدان في حرب أكتوبر 1973، مما جعله حافزا لإيجاد خطة تكتيكية جديدة قادرة على حسم المعركة.

لقد كانت الطبيعة الجبلية عائقا أمام نجاعة الدبابات الإسرائيلية إذا أجبرتها الطبيعة الجغرافية أن تقاتل متفرقة، كذلك انعدام الخبرة على القتال في المناطق المأهولة والمبنية، أدى إلى دخول الإسرائيليين دون المشاة، إلا أن استخدام مختلف الأسلحة خاصة المدفعية الإسرائيلية الجديدة، والطائرات بدون طيار التي ساهمت في استطلاع الأهداف المعادية وتحديدها بدقة، إضافة إلى الحوامات الأمريكية الصنع [طراز كوبرا، هيوز...] ،كان لها الدور البارز في حسم الحرب لصالح الإسرائيليين .

إن الهدف الرسمي المعلن من الحرب كان تطهير منطقة شمال إسرائيل لمسافة 25 ميلا، إلا أن العملية سرعان ما تطورت، وخرجت عن إطارها المعلن لتصل إلى الضاحية الجنوبية في بيروت.

وأهم ما يمكن استخلاصه في هذه الحرب هو:

1- تصاعد السمة العدوانية للإستراتيجية الإسرائيلية، وهو ما تحدث عنه وزير الدفاع الأسبق "وايزمان" من خلال ضرب المراكز الرئيسية لدى الخصم والتحول من احتلال التخوم إلى احتلال العواصم.

2- الابقاء على إستراتيجية "الحرب المحدودة" وتعبئة جزءا فقط من قوات الاحتياط عكس ما تقتضيه الحرب الشاملة من تعبئة شاملة.

3- التأكيد على مبدأ "الحرب الاستباقية" كإحدى الركائز الرئيسية للإستراتيجية الإسرائيلية.

4- استخدام الحرب بالوكالة "proxy war" التي استخدمت لأول مرة عندما شكلت إسرائيل قوة لبنانية موالية، تتولى نيابة عنها أعمال تأمين الحزام الحدودي مع تقديم المعونة لها.

- **حرب جويلية 2006**: إن الحرب على لبنان في 2006 جرت في وضع دولي مختلف تماما، جعلها تتميز عن الحروب الأخرى، فهي أول حرب تخوضها إسرائيل بعد نهاية الحرب الباردة، وانهيار القطبية الثنائية، وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى "as a hyper power" وإعلانها للحرب على الإرهاب، وبروز دول كقوة جديدة صاعدة مثل إيران.

إن قيام الثورة الإسلامية الإيرانية عام 1979 على يد الإمام "الخميني" أدت إلى انشقاق وتصدع حركة أمل الشيعية التي أسسها الإمام "موسى الصدر" في عام 1974، والتي أدت إلى ارتباط حزب الله بالمنابع العقائدية والفكرية

لولاية الفقيه . وهذا ما أكده البيان الصادر عن الحزب يوم 16 فيفري 1985، أن الحزب ملتزم بأوامر قيادة حكيمة وعادلة تتجسد في ولاية الفقيه، وهذا ما أثار حفيظة الدوائر السياسية الإسرائيلية والأمريكية تجاه ظروف نشأته وطبيعة دوره ،وعلاقاته الخارجية مع كل من إيران وسورية.

إن حزب الله يمتلك مؤسسات دينية، اجتماعية، سياسية وعسكرية فهو حزب متعدد الأوجه ، له نظرة شاملة لجميع نواحي الحياة، وهو ما أكده الشيخ "نعيم قاسم" بقوله:"الحزب إسلامي قبل أن يكون مقاوما، والتزامه العقائدي هو الذي دفعه ليرفض الاحتلال ويقاتل إسرائيل، فهو يحمل منهجا للحياة بشموليتها ولا يقتصر واجبه على ناحية دون أخرى، وإن برزت أولوية الجهاد على غيرها. حتى أن البعض أصبح يتحدث عن "دولة حزب الله"، أي دويلة ضمن الدولة اللبنانية، نظرا لما يمارسه في المجال السياسي، الاجتماعي والثقافي، فضلا عن المؤسسات التعليمية التي تنشر فكرا ونظرة خاصة تجاه إسرائيل والمؤسسات التمويلية التي تسير الحزب، وهو ما تعتبره إسرائيل محاولة بناء مجتمع مضاد ومهدد لأمنها و وجودها ،بمعنى الإشارة إلى أن هذا التنظيم لبناني الموقع إيراني الفكر والمعتقد، حيث قال الشيخ "نعيم قاسم":"بما أن العديد من المواقع قد تغير فيجب أن نكون مرنين ونغير مواقفنا أيضا...ولكن معارضتنا لإسرائيل هي جوهر إيماننا وهذا ما لن يتغير مطلقا(25). "

إن بدأ العمليات العسكرية الإسرائيلية على حزب الله، تأثر بعدة قضايا رئيسية مثلت في مجموعها أسباب الحرب، وهي كالتالي:

-1نجاح عملتي أسر الجنود الإسرائيليين في كل من فلسطين ولبنان، واعتبرت العمليتين بمثابة ضربة للإجراءات الأمنية و للقدرات الاستخباراتية التي تتمتع بها إسرائيل، وبالتالي يجب الرد عليها بمبرر حق الدفاع الشرعي الذي يستند على المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة ، التي لا تنتقص الحق الطبيعي للدفاع عن نفسها، في حالة إذا ما اعتدي عليها.

لقد كتبت صحيفة "سان فرانسيسكو كرونيكل" الأمريكية مقالا أبرزت من خلاله أن هذه الحرب تم الإعداد لها منذ أكثر من سنة، وهناك من يعتقد أنه تم الإعداد لها منذ الانسحاب الإسرائيلي عام 2000، وحصول الاستخبارات الإسرائيلية على معلومات تفيد بان حزب الله يزداد تسلحا يوما بعد يوم.

-2تأمين الحدود الشمالية لإسرائيل وذلك من خلال إعلان إسرائيل أنها ستقيم منطقة عازلة أو "حزاما أمنيا" في الشمال لمنع عودة حزب الله إليه ووقف إطلاق الصواريخ من الجنوب اللبناني، إذ بعد الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان عام 2000، حل محله حزب الله وليس الجيش اللبناني والذي هو مجهز بالآلاف من صواريخ الكاتيوشا والصواريخ طويلة المدى، وهذا ما تعتبره إسرائيل تهديدا دائما لأمنها.

-3القضاء على محور الشر (حزب الله، إيران، سوريا، حماس) لقد شهدت نهاية عام 2000 وصول اليمين المتطرف الأمريكي بقيادة بوش الابن إلى السلطة، أو ما يسمى بتيار المحافظين الجدد واليمين الإسرائيلي المتطرف بقيادة شارون في

بداية عام 2001، وبالتالي كانت الأوضاع مواتية لإقامة مشروع الشرق الأوسط الجديد، وهذا ما جعل وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزاريس تصف ما يجري في حرب لبنان بأنه مخاض لولادة شرق أوسط جديد، حيث أنها لم تكتف بمنح إسرائيل ضوءا أخضرا لشن هذه الحرب، بل كانت كما يقول البعض حربا بالوكالة ."proxy war"

4-سد عجز الميزانية الإسرائيلية التي شهدتها سنة 2006، مما أدى إلى اعتبار الحرب فرصة ذهبية لتعويض هذا العجز، من خلال الدعم الذي سوف تحظى به إسرائيل من طرف الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما يبرر الطرح الذي يتبناه بعض المحللين السياسيين والاستراتيجيين أنه ليس من مصلحة إسرائيل القضاء نهائيا على كل من حزب الله وحماس، بل أن وجودها يساعد على مواصلة جلب الدعم الخارجي، والتعاطف الدولي معها وهذا ما لحظناه قبل بداية الحرب من أنها أول حرب تقوم بها إسرائيل من دون أي ضغط دولي، بل على العكس من ذلك، هنالك مباركة و مساندة ودعم لها وهذا ما حدث في قرار مجموعة الدول الثمانية (G8) الذي اعتبر الحرب الإسرائيلية بمثابة حق الدفاع عن النفس.

5-جلب لبنان إلى حظيرة التطبيع، وذلك بالقضاء على الحزب الرافض لوجود إسرائيل وإعادة ترتيب الخريطة السياسية الداخلية في لبنان، بشكل يجعل من الممكن تحويل هذه الدولة المعادية إلى دولة تربطها اتفاقية سلام.

لقد تميزت المواجهة العسكرية خلال الحرب بخصائص منفردة جعلتها مختلفة اختلافا جوهريا عن كل المواجهات العسكرية الإسرائيلية-العربية منذ قيام إسرائيل، لتشمل هذه الاختلافات كل من التخطيط والإعداد و التدريب والإدارة لهذه المواجهة فيمكن تقسيم الاستراتيجيات العسكرية الإسرائيلية في هذه الحرب إلى مرحلتين، المرحلة الأولى غلبة عليها الغارات الجوية والقصف المدفعي المكثف، بينما المرحلة الثانية هي المزاوجة بين القصف والاجتياح البري، ولكن هذا الفصل بين المرحلتين ليس فصلا صارما ولكن مع تطبيق مبدأ تداخل المراحل، أي من الممكن أن تتداخل بعض عناصر كل مرحلة مع مرحلة أخرى، وذلك بما يخدم أهداف الحرب.

فبعد نجاح عملية "الوعد الصادق" في 2006/07/12، مباشرة وفي نفس اليوم قامت الطائرات الإسرائيلية بغارات واسعة على مناطق لبنانية كقريتي كفرشوبا ومزارع شبعا، اضافة إلى قصف مدفعي عنيف لجنوب لبنان، وهذا ما يدل على أن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية كانت لديها بالفعل رغبة للقيام بعمليات ضد لبنان، ولكنه لا ينف التسرع والعجلة التي اتسمت بها العملية العسكرية.لقد كانت العمليات الجوية تصبوا إلى تحقيق هدفين رئيسيين هما اغتيال قادة حزب الله في منازلهم ومكاتبهم، والعمل على تدمير مراكز القيادة والسيطرة التابعة للحزب . ولكن إفراط إسرائيل في استعمال القوة الجوية والأضرار التي نجمت عنها جعلت مجلس الأمن يقوم بتوقيف الهجوم في 10 أوت 2006 بموجب القرار رقم 1701 الداعي إلى وقف الأعمال الحربية في لبنان. وفي اليوم الموالي من صدور هذا القرار أي 2006/08/13 وافقت الحكومة الإسرائيلية عليه ولكنها لم تحترمه بدليل الغارات الجوية التي شنتها، وتدعيمها بالحملة البرية، وتعرض الضاحية الجنوبية لبيروت لعشرين صاروخها أطلقتها البوارج والطائرات الإسرائيلية لكن بدون نتائج وأهداف نوعية على أرض الميدان، مما أجبر الجيش

في 5 أوت على بداية الانسحاب من المناطق التي احتلها في الجنوب، وبداية التفكير وإعادة النظر في الكثير من النظريات المطبقة خلال الحرب.

لقد كان حزب الله يحرص طوال فترة الحرب للحفاظ على ثلاثة أهداف أساسية هي:

أولا: امتصاص الضربات العسكرية الإسرائيلية بأنواعها المختلفة سواء كانت الجوية أو البحرية أو الأرضية بواسطة المدفعية الموجهة ضد قادة ومنشآت الحزب، ورغم أن لبنان بأسره كان عرضة لهذه الضربات إلا أن التعتيم الكامل الذي فرضه حزب الله على معلومات الأهداف الحيوية للحزب، سواء في الضاحية الجنوبية لبيروت، أو في جنوب لبنان جعل الضربات الإسرائيلية تخفق في تحقيق أهدافها.

ثانيا: التصدي للهجمات البرية ومحاولة الاقتحام، مثلما حدث في اليوم الثاني من الحرب عبر التصدي لقوة برية إسرائيلية، حاولت التوغل في الأراضي اللبنانية عند موقع الراهب.

ثالثا: مواصلة القصف الصاروخي للعمق الإسرائيلي وهي النقطة التي راهنت الإدارة الإسرائيلية للقضاء عليها، وبالتالي كانت أهم مظهر من مظاهر الحرب، وقد أدرك حزب الله هذا جيدا ومارس إستراتيجية "step by step" أي إستراتيجية خطوة خطوة، حيث كان يهدف إلى الحفاظ على زيادة عدد الصواريخ المنطلقة من الجنوب اللبناني ، وهو ما تحدث عنه "حسن نصر الله" بقوله: إننا في هذه الحرب نمارس معادلة مفادها "العمق بالعمق"، أي كلما تصعدون نصعد، فلقد حرص زعيم الحزب على توفير المصداقية لتصريحاته، ولعل ما حدث مع البارجة ساعر5 ،وتزامن إطلاق الصواريخ عليها من طراز C-802 صيني الصنع مطور إيرانيا، وهي المرة الأولى التي تصاب فيها بارجة لسلاح البحرية منذ عام 1967، بعد عملية إغراق الغواصة إيلات.

بعد نهاية الحرب مباشرة، بدأت العديد من الأسئلة تبحث عن الأسباب التي أدت إلى عدم تحقيقا إسرائيل لأهدافها، فكان الحديث عن عوامل الفشل في الجانب السياسي، والعسكري التكتيكي وحتى الاقتصادي، وبالتالي فشل في السياسة الأمنية عامة، وهذا ما نحاول إبرازه من خلال الأسباب التالية:

1- قيادة مدنية فاقدة للخبرة والحنكة العسكرية، فمن المعروف أن رئيس الوزراء "ايهود أولمرت" و وزير دفاعه "عمير بيرتيس"، أنه ليس لهما سجل عسكري حافل بالترويع والقتل مثل باقي القيادات الإسرائيلية، فلقد كانت علاقة "ايهود أولمرت" بالجيش تندرج ضمن إطار أداء الواجب الوطني في شكل الخدمة الإجبارية فقط التي أدت إصابته فيها إلى تحويله كمراسل عسكري، وهو ما انعكس على إدارته للمواجهة العسكرية .

2- التسرع في قرار إعلان الحرب، حيث كان بدون دراسة كافية، وإعطاء الوقت اللازم للإعداد والتخطيط وهذا ما تحدثت عنه الصحافة الإسرائيلية بعد تسرب بعض الأخبار إليها من المجلس المصغر للوزراء، من أن "شيمون بيريز"

كان الوحيد المعترض عن قرار الحرب، وسأل "دان حالوتس" رئيس الأركان من أنه فهم الخطوتين الأولى والثانية ولكنه لم يفهم الثالثة والرابعة فكان رد "حالوتس" من أن الخطوة الثالثة مرتبطة بالخطوة الثانية، وأن الرابعة مرتبطة بالثالثة، وكلها مرتبطة بما يحدث على الواقع. "

3- دخول إسرائيل للحرب بعقلية الحروب التقليدية ،إن ما حدث على الأرض بين إسرائيل وحزب الله هو ما يسمى في الإستراتيجية بحروب الجيل الرابع

(4Generation of war 4th GW) والتي تقوم بها حركات اجتماعية ذات قواعد شعبية عريضة شديدة التأصل داخل مجتمعاتها، ضد دول وجيوش نظامية أقوى منها، تستخدم من خلالها تكنولوجيات الاتصال و وسائل الإعلام، لدعم عملياتها القتالية، وليست عبارة عن حرب عصابات (Guerilla warfare) التي تقودها جماعات من المتمردين ضد أنظمة قائمة.

4- الإفراط في استعمال سلاح الجو، أو كما يسميه الإسرائيليون الذراع الطويلة، التي هي سبب صنع ذكريات جميلة بقيت عالقة في أذهانهم، بالعودة إلى حرب 1967 وتحقيق فوز ساحق وخاطف من دون خسائر بشرية في الميدان، فالإستراتيجية الإسرائيلية تقوم على إحدى المبادئ التي تقول بضرورة أن هذا سوف يمهد للعملية البرية وبدخول سهل إلى الجنوب اللبناني . (26)

- **حرب غزة 2008**: لقد كانت حرب غزة 2008 جولة جديدة من جولات الصراع مع إسرائيل، والتي أتت بعد اقل من ثلاث سنوات من حرب جويلية 2006. حاولت من خلالها إسرائيل تحقيق العديد من الأهداف من ضمنها: القضاء على قوة المقاومة الفلسطينية المتنامية في غزة، إعادة إطلاق الصواريخ على إسرائيل بعد انتهاء فترة الهدنة، استعادة "جلعاد شاليط" الجندي الإسرائيلي المختطف من طرف حماس، وغيرها من الأسباب الأخرى لكن السبب الرئيسي من الحرب، هو استعادة قوة الردع الإسرائيلية التي تضررت في حرب جويلية 2006 ، وبالتالي فمن الواضح أن قدرة حماس العسكرية ليست في نفس المستوى مع حزب الله، هذا ما سيمكن من استعراض للقوة العسكرية، وإظهار قدرتها في خوض حرب على أية جهة قد تشكل تهديدا لمستقبل وجودها.

لكن رغم سقوط أزيد من 1300 قتيل في 23 يوم من الحرب، لم يكن من بينهم إلا 48 فقط من المقاتلين من كتائب القسام وبعض المقاتلين من الفصائل الأخرى، وهذا ما يدل على أن المقاومة الفلسطينية استعانت كثيرا بتجربة حرب 2006 من خلال دراسة قوة العدو، وهو ما تحدث عنه السيد"حسن نصر الله" في ذكرى عاشوراء بقوله:"لقد زودنا إخواننا في غزة بالمعلومات التي تمكنهم من الصمود أمام الكيان المحتل، وما يلاحظ من تشابه بين حرب جويلية 2006 وحرب ديسمبر 2008، يمكن إدراجه في النقاط التالية:

1- من حيث الأهداف: مع بداية الحرب 2008 عقد رئيس الوزراء "ايهود أولمرت" إلى جانب "إيهود براك" وزير الدفاع و وزيرة الخارجية "تسيبي ليفي" لقاءا صحفيا قالوا فيه: "إن العملية تهدف إلى تحسين الواقع الأمني لأهالي الجنوب بشكل جذري ، وهو ما يدل على الغموض في أهداف الحرب مثلما حدث تحديدا في حرب جويلية 2006.(27)

2- من حيث المدة الزمنية: استمرت حرب ديسمبر 2008، 23 يوما كاملة وهي مدة طويلة جدا، أثبتت من خلالها المقاومة الفلسطينية قدرتها على الصمود و التصدي وهو نفس ما حدث في حرب 2006، حيث استمرت الحرب 33 يوما.

3- من حيث القدرة التدميرية الإسرائيلية: أثبتت حرب غزة أن مستوى دموية إسرائيل ليس له علاقة بنوعية العدو وإنما راجع إلى أمور راسخة في أذهان الإسرائيليين مفاده أن لا سلام مع العرب، حيث تعتبر هذه الحرب أكثر حروب المنطقة تدميرا وأبشعها من خلال استهداف المدنيين ليبدأ الحديث عن جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية، وجرائم إبادة الجنس البشري وذلك بالعودة إلى القانون الأساسي لمحكمة روما 1998، واتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية الأشخاص المدنيين خلال الحرب، واتفاقية تعريف العدوان لعام 1974 وغيرها من الاتفاقيات.

4- من حيث رد فعل المقاومة: استطاعت المقاومة في غزة البالغ عدد أفرادها 15 ألف مقاتل من الإبقاء على قدرتها في إطلاق الصواريخ طوال مدة الحرب، ويعد هذا أهم مظهر من مظاهر الصمود التي كانت إسرائيل تحاول القضاء عليه، للظفر بنصر يخفف من حدة ضغط الرأي العام، ويكون بمثابة انجاز تستطيع من خلاله القيادة الإسرائيلية استثماره في الانتخابات القادمة.

5- من حيث إفشال التوغلات البرية: تمكنت فصائل المقاومة من إفشال العديد من عمليات التوغل البرية التي قامت بها القوات الإسرائيلية التي كانت تعتقد أنها بسهولة تستطيع الوصول إلى أي نقطة في غزة، لكن استبسال المقاومين حال دون ذلك وهو ما يذكرنا بالأداء البطولي لحزب الله، رغم أن إسرائيل اعتبرت أن حماس استخدمت في حربها الدروع البشرية.

إن حرب غزة 2008 عززت تلك الإخفاقات التي مست مرتكزات الإستراتيجية الإسرائيلية مثل سقوط نظرية الحرب الخاطفة لاستمرار الحرب في هذه المرة 23 يوما وبالتالي اهتزت هذه النظرية مرتين خلال ثلاثة سنوات إضافة إلى سقوط مبدأ نقل المعركة إلى أرض العدو، فقد أثبتت صواريخ حماس قدرتها على تهديد المواطن الإسرائيلي، وكذلك عدم نجاعة سلاح الجو والتركيز عليه بشكل كبير لحسم المعركة ، فرغم القوة التدميرية الهائلة، إلا أن صواريخ حماس مازالت تسقط في الأرض الإسرائيلية وتسببت في خسائر اقتصادية مباشرة قدرت بحوالي 1150 مليون دولار بمتوسط 50 مليون دولار

يوميا، إضافة إلى خسائر غير مباشرة في كل من قطاع السياحة، وتعبئة جنود الاحتياط، وخسائر ناجمة عن مقاطعة المنتوجات المصدرة، حيث في مجموعها تقدر بحوالي 1350 مليون دولار .

ولكن بالمقابل استفادت الإستراتيجية الإسرائيلية كثيرا من دروس حرب 2008، ويمكن تلخيص أهم النقاط فيما يلي:

1- إقامة تدريبات ومناورات كثيرة للجنود العاملين وجنود الاحتياط، والتي شارك في بعضها قوات أمريكية، ركزت في جوهرها على تأمين الدفاع الجوي في مواجهة الصواريخ المعادية، وكيفية تأمين الجبهة الداخلية.
2- التركيز على وضع أهداف إستراتيجية محددة، والتخلي عن وضع أهداف سياسية تمكن الشعب بذلك من محاسبتها ،وربما يكون ثمن ذلك المناصب السياسية للقادة، مثل وضع هدف مطاطي كالقضاء على حماس نهائيا.
3- ضرورة الاعتماد على مبدأ العمليات المشتركة "combined operation" بدل التركيز على سلاح الجو وهو ما حدث فعلا خلال الحرب في 2008، إذ لاحظنا أن سلاح البحرية الإسرائيلية كان له دور كبير في إطلاق النار على قطاع غزة.
4- عدم وضع جدول زمني للعمليات العسكرية، وبالتالي إذا لم تنته الحرب في هذه المدة تصبح بمثابة مؤشر على هزيمة الجيش الإسرائيلي، وهو ما ينعكس على شعور المواطن الإسرائيلي بلا أمن.
5- ضرورة التعتيم الإعلامي من خلال منع القادة العسكريين من إعطاء تصريحات صحفية ومنع الصحافيين الإسرائيليين والأجانب من الدخول إلى ساحة الحرب.

3-3 البرامج النووية

لقد لعب السلاح النووي منذ اكتشافه دورا استراتيجي في تشكيل معالم العلاقات الدولية، إذ تسعى كل الدول لاكتسابه من أجل فرض هيبتها واحترامها، فلقد أصبح معيارا لقوة الدولة من ضعفها، وهو ما أدركته إسرائيل مبكرا، فقامت بالتعاون مع دول صديقة للحصول على هذه التكنولوجيا، وبالتالي الدخول إلى النادي النووي في منطقة جد إستراتيجية تمتاز بتشابك مصالح الدول الكبرى، وحدة الصراعات فيها وبالتالي كان لا بد أن تسعى السياسة الأمنية الإسرائيلية للحفاظ على هذه الهيمنة من خلال إفشال كل محاولات الوصول إلى هذا السلاح.

- **البرنامج النووي العراقي**: في ليلة عيد العنصرة [عيد الأسابيع] عام 1981 قامت طائرات سلاح الجو الإسرائيلي بقصف المفاعل النووي العراقي "اوزيراك"،فأثارت هذه العملية موجة شعور من الفرح والارتياح، بجانب استنكارات داخلية وعالمية، أدت إلى انقسام الإسرائيليين بين مؤيد لهذه العملية ومعارض لها وهذا ما نجد عنده "بيغن" كقناعة راسخة بأن قصف المفاعل النووي العراقي حال دون إمكانية وقوع محرقة نازية إضافية ، عكس الطرف الأخر الذي اعتقد أن العملية لم تكن لازمة بل إن إسرائيل ورطت نفسها في حالة حساسة كانت في غنا عنها.

لكن الحملات الدعائية الإسرائيلية في وسائل الإعلام الأوربية استطاعت خلق مناخ دعائي للتمهيد للهجوم الجوي على المفاعل النووي، بحجة أن بغداد هي عاصمة العالم العربي النووية ، فكان عبور الطائرات الحربية الإسرائيلية فوق الأجواء الأردنية والسعودية دون أن ترصدها الرادارات، والقيام بضربة استباقية بامتياز، ساهم فيها مضي ما يزيد عن سنة من اندلاع الحرب بين العراق وإيران، أي انشغال العراق بالجبهة الإيرانية.إن الهدف من هذه العملية القضاء على هدف استراتيجي حيوي يمنع العدو من امتلاك هذه التكنولوجيا والتي تمثل تهديدا للاحتكار النووي الإسرائيلي، زد على ذلك إثبات أن لإسرائيل القدرة على ضرب أي موقع تختاره في مجالها الجيو استراتيجي وأنها القوة العسكرية الفعالة في المنطقة من أجل إقناع العرب أنها في مرمى حجر منها، وهذا ما ذهب إليه تيسير الناشف بقوله:"إن إسرائيل بحيازتها لهذه النوعية والكمية من الأسلحة لا بد أنها تقصد أن تحقق أيضا أهدافا إستراتيجية بعيدة المدى والأثر، تتعلق بالشرق الأوسط وتتجاوز هذه المنطقة. "(28)

ولكن رغم هذه العملية النوعية التي قامت بها إسرائيل فإنها لم تسلم من الرد العراقي الذي كان عن طريق قصفه لإسرائيل بصواريخ أرض- أرض من نوع "skud-B" العراقية برؤوس تقليدية، رغم البعد الجغرافي عن إسرائيل، أدى إلى حدوث ذعر معنوي في إسرائيل واهتزاز الأمن القومي خاصة في جانبه المتعلق بالحدود الآمنة، الصواريخ أرض-أرض طراز "skud-B"تتخطى الحدود ولا تعترف بها، وهو ما أدى إلى انكشاف العمق الاستراتيجي لأول مرة ، بعدما كان يعتقد الإسرائيليون أنهم اكتسبوا حدود آمنة يمكن الدفاع عنها.

فأثار هذا القصف الصاروخي جدلا كبيرا في إسرائيل، بين أنصار الحدود الآمنة وبين الرافضين لها خاصة أن الصواريخ تتوفر بكثرة لعدد من الدول العربية، وهي قادرة على حمل رؤوس نووية، وهو ما دعا إليه القادة في إسرائيل لوضع تصورات جديدة للعقيدة العسكرية الإسرائيلية منها:

1- رؤية "shimon peres" حيث قال:"إن السبيل الوحيد لضمان مستوى معقول من الأمن القومي في هذا العصر، عصر الصواريخ أرض-أرض والقدرات النووية، هو إقامة نظام إقليمي للرقابة والرصد، فإذا نفذ ذلك سنجد أن مفهوم "العمق الاستراتيجي" لم يعد له معنى، فالصواريخ بعيدة المدى وأسلحة الدمار الشامل، قد حولت جبهة الداخل إلى جبهة أمامية ، إن الرقابة الواسعة (أقمار صناعية، أعمال مراقبة) هي البديل عن مفهوم "العمق الاستراتيجي" إن الأمن أي منع الحرب وإقامة حدود ثنائية آمنة، ستكون القضية المهيمنة في الطور الأول الانتقالي."(29)

2- رؤية "نتنياهو" فلقد ألح على اعتماد "مبدأ الردع" ضد أية قوة معادية سواء من دول الطوق أو حتى من الدول البعيدة جغرافيا عن إسرائيل بقوله: "أن ما يمكن تحقيقه في الشرق الأوسط هو السلام المبني على الردع والقوة، لذا ففي الشرق الأوسط، يعتبر الأمن هو العنصر الحيوي للسلام ولا بديل عنه، هذه الترتيبات الأمنية بغض النظر عن

مدى نجاحها لن تكون كافية يوم أن يقرر أعداء إسرائيل خرق المبادئ المتفق عليها والشروع في حرب ضدها "(30).

وكانت نتيجة حرب الخليج الثانية، أنه لا يمكن لدولة نووية كإسرائيل أن تلقي قنبلة ذرية ردا على إطلاق صاروخ تقليدي، وقد أدت الضربة الصاروخية العراقية لإسرائيل دون الرد عليها، إلى إضعاف صورتها كقوة رادعة، وكانت قوة الردع الإسرائيلية تعتمد على سلاح الجو، ويعتقد الإسرائيليون الآن أنه لا يجوز الاعتماد عليه فقط، وأن عليهم أن يجدوا وسائط ردع تقليدية أخرى. وعلى هذا الأساس يقترح الجنرال "تال" :"بناء ذراع إستراتيجية جديدة في إسرائيل تعتمد على الصواريخ أرض-أرض وليس فقط على الطائرات كثقل موازي لتزود العرب بمختلف أنواع صواريخ "skud" والقادرة على حمل رؤوس نووية . "وكان من ضمن الخيارات الإسرائيلية إنشاء نظام دفاعي صاروخي ميداني لحماية إسرائيل من أي هجوم بالصواريخ سواء كانت التقليدية أو النووية، وبالتالي فينبغي عليها أن تمتلك عمقا استراتيجيا بحريا جديدا، يعرف أعداء إسرائيل بقدرتها على الرد في حال مهاجمتها . ولكن رغم كل ما سبق فإن القضاء النهائي على البرنامج النووي العراقي لم يكن عن طريق القوات الإسرائيلية كما حصل في 1981، بل كان على يد القوات الأمريكية في جانفي 1991 ليتوقف البرنامج النووي العراقي عند هذا الحد.

خاتمة :

منذ قيام دولة إسرائيل عام 1948 كان مصطلح الأمن هو المفردة التي تتعدد مجالات استخدامها أكثر من أي مفردة أخرى ، سواء لدى القادة السياسيين أو العسكريين أو حتى لدى الأكاديميين في الجامعات و مراكز الفكر، أدى بهذه الدولة إلى صياغة سياسة أمنية تضمن لها بقائها و استمراريتها. تعتبر الاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية في مجالها الجيوبوليتيكي الحيوي متغيرا تابعا لمجموعة من المتغيرات التي ساهمت في بلورتها، و يتعلق الأمر بكل من المتغيرات الداخلية و الخارجية ،إن أداء الاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية في مختلف مراحلها ليس مطلبا رسميا فقط بل هو مطلب العديد من القوى المجتمعية ، التي تنادي بضرورة إبقاء إسرائيل الدولة التي لا تقهر في المنطقة. ما يلاحظ على هذه الاستراتيجية هي أنها تمتاز بالثبات و التغير في نفس الوقت، فهي من جهة في حركية و ديناميكية مستمرة لمعالجة النكبات و الاهتزازات التي تعانيها، ومن جهة أخرى فهي تحافظ على المبادئ العامة والخطوط العريضة لها، والتي هي مجموعة من التصورات والادراكات للتهديدات التي تتعرض لها إسرائيل مع الحفاظ على سلوكياتها العدوانية تجاه مختلف فواعل المنطقة.

التهميش :

1- مصطفى يوسف اللداوي، **الإرهاب الصهيوني في ظل القانون الدولي**، الجزائر، دار قرطبة، الطبعة الأولى، 2005، ص 134.

2- Israel,**journal of Palestine studies**,vol 11N0 ,(summer 1982),p 248 .

3- محمد حسنين هيكل، **المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل**، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الأولى ، 2001، ص221.

4- سلمان رشيد سلمان، **السلاح النووي والصراع العربي الإسرائيلي**، بيروت، دار ابن خلدون، الطبعة الأولى، 1978، ص10-11.

5- – عبد الوهاب المسيري، الايديولوجية الصهيونية، دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، **مجلة عالم المعرفة**، العدد 06، 1988، الكويت، ص94.

6- – محمد السيد سليم، دور العوامل الخارجية في الصراع العربي الإسرائيلي، **مجلة السياسة الدولية**، العدد172، أبريل 2008، ص43.

7- عبد القادر محمد فهمي، **مدخل إلى دراسة الإستراتيجية**، عمان، دار مجدلاوي، الطبعة الأولى، 2006، ص249.

8- Barry Buzan, **A new Framework for analysis**, lynne rienner publishers ,united state of America, 1998, p22

9- عبد النور بن عنتر، **البعد المتوسط للأمن الجزائري، الجزائر، أوربا والحلف الأطلسي**، الجزائر، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 2005، ص14.

10- -Efram Inbar, **Israeli national security (1973-1996)**, annals of American academy of political and social science, vol 555, January 1998, p62.

11- -Gil Meron, **Isreal's national security and the myth of exceptionalism**, political science quarterly, vol 144, N°3, (autumn 1999), p409.

12- - jonathan marcus, **the politics of israeil's security**, international affairs royal institute of international affairs, vol 65; N°25 spring 1989, p113.

13- – نادر فرحاني، **الإمكانات البشرية والثقافية العربية، العرب ومواجهة إسرائيل احتمالات المستقبل**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 2000، ص713.

14- – محمد خوجة، **الانعكاسات العسكرية والسياسية للثورة الجديدة في الشؤون العسكرية**، أطروحة دكتوراه في العلاقات الدولية، الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، 2007، ص210.

15- – عصام فاهم العامري، **خصائص ترسانة إسرائيل النووية وبناء الشرق الأوسط الجديد، دراسة في الوظيفة الإقليمية والدولية لإسرائيل خلال الأعوام القادمة**، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 1999، ص ص55، 63.

16- - shai feldman, **l'extension du TNP et la maitres des armements nucléaire-an moyen orient**, politique étrangère, N°6666, Mars 1995, p614.

17- –كريس براون، **فهم العلاقات الدولية**، الامارات العربية المتحدة، مركز الخليج للأبحاث، الطبعة الأولى، 2004، ص84.

18- – مصطفى صايح، **السياسة الأمريكية تجاه الحركات الإسلامية –التركيز على إدارة جورج ولكربوش**، أطروحة دكتوراه في العلاقات الدولية، الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، 2007-2008، ص ص 222-235.

19- – حسن نافعة، **الانحياز: علاقات أمريكا بإسرائيل المتحفزة**، مجلة شؤون عربية، العدد 43، سبتمبر 1985، ص221.

20- – بطرس بطرس غالي، **بين جذور الصراع ومستقبل السلام**، مجلة السياسة الدولية، العدد 172، أبريل 2008، ص13.

21- - té'ev schiff, **fifty years of isreali security**, the central role of defense system, middle east journal, vol 53, N°3 (summer, 1999), p434.

22- – سيدني دي بيلي، **الحروب العربية الإسرائيلية وعملية السلام**، ترجمة الياس فرحات، بيروت، دار الحرف العربي، الطبعة الأولى، 1992، ص133.

23- - Oded yinion, **a strategy for Israel in the ninteen eighties**, journal of judaism and zionism, N°14 (winter 1982), p75

24- – أبو بكر الدسوقي، **حزب الله النشأة والدور والمستقبل**، مجلة السياسة الدولية، العدد 166، أكتوبر 2006، ص94.

25- – دانيال سويلمان، **قواعد جديدة للعبة– إسرائيل وحزب الله بعد الانسحاب من لبنان**، ترجمة عماد فوزي شعبي، بيروت، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، 2004، ص21.

26- – عبد الحليم حمود، **الوعد الصادق أسطورة تهزم أسطورة**، بيروت، دار الهلال، 2007، ص53.

27- -Antony h.cordesman, **the gaza war: a strategic analysis**, centre fo strategic and international studies, februery 2009, p14

28- - ممدوح أنيس فتحي، **"العقيدة العسكرية الإسرائيلية بين الاستمرار والتغير"**، مجلة السياسة الدولية، العدد 125، (جويلية 1996)، ص229.

29- - ممدوح أنيس، **أبعاد نظرية الأمن الإسرائيلي بعد التسوية الشاملة**، مجلة السياسة الدولية، العدد 124، ابريل 1996، ص231.

30- - جعفر ضياء جعفر ونعمان سعد الدين النعيمي، **الاعتراف الأخير: حقيقة البرنامج النووي العراقي**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005، ص127 .